قصر الجان

سعيد إسماعيل

قصر الجان

رواية

كُتُبنا
KOTOBNA

مقدمة

نحن نمتلك الكثير عن أسرار الحضارات إلا إننا ضللنا الطريق، يا صديقي. عليك أن تعلم أن عالمك لا يختلف كثيرًا عن عالم الجان. فنحن نتعامل معهم في كل لحظة، نحن نتعايش معهم بطريقتنا الخاصه. فقط احذر أن تخطئ طريقتك في التعامل معهم، فلن ترحمك مملكة كوشيه بسجونها العنيدة، وستكون قربانًا للإلهة جوتار، وإن نجوت فعليك التخلص من كبير الجان "سوجلار" نحن على أعتاب القصر، عليك أن تخفي أنفاسك جيدًا، تنفس ببطء، فرائحة الدماء تعج بأرجاء المكان، ورؤوس الأموات يخرج منها صدى صوت كرياح تعصف بكهوف خاوية، هنا كل شيء مباح، يا صديقي. فقط، أغمض عينيك ودع ما تشعر به يلامسك. دعه فهو حقًا يلامسك. إنه يدور حولك كخيال خاطف، لا تفتح عينيك، أبقها مغمضتين، لا تحاول، لا تفتحها، أنصت لي ولا تخالف حديثي، ابق هادئًا وحافظ على ثباتك الانفعالي، لا تجعلهم يشعرون بخوفك حتي لا يسكبوا دماءك في كؤوسهم. هنا الجميع يسكر بالدماء، يا صديقي، احذر أن تكون سلعتهم الثمينة، لا أحد يتعامل بالمال هنا، فقط على قدر المعرفة ستكون غنيًّا أم فقيرًا.

مرحبا بك... أنت في قصر الجان..

إهداء

إلى الذي كان ينضح بوجهي الماء ليوقظني لصلاة الفجر قائلا :

"قم فالرزق لا يأتي للنائمين" . .

إلى أبي – رحمة الله . . .

الكهف

- انظر! إنه تابوت! تابوت!

- أي تابوت، يارجل أنا لا أرى شيئا.

- ها هو! انظر جيدا! لربما مشاهدة التلفاز أضاعت نظرك.

ضحك خالد ساخرا: ولما لا تقول إن قصص الخيال التي تقرأها هي التي ذهبت بعقلك؟ آخر كلمات قالها مصطفى لخالد قبل أن تتخطفه الشياطين عيانا. وبصوت مفزع وكأنه من داخل قبر: أين مخطوطة المؤرخ، أيها الأبله؟

- من أنا؟ هكذا أجاب مصطفى على سوجلار ملك الجان: ومن أنت؟

- ستعلم عندما نريد.

- وعن أي مخطوطة تتحدث؟

- يبدو أنه ليس أبله. هكذا قال (سوجلار): المخطوطة التي تحوي طلاسم أجدادي "مخطوطة التابوت". أين المخطوطة وإلا وضعت صديقك خالدًا في التابوت".

- حسنا حسنا" سأتحدث، أنا ما أردته هو الوصول إلى أعماق حضارتكم؛ لا لشيء آخر. أجدادي أنتم كما قال لي معلمي ذات يوم. أردت أن أعرف أكثر عن سر وجودكم للآن، سر وجود حضارتكم العظيمة، سر عراقتكم.

- وماذا تريد من حضارتنا، أيها الوغد؟! هكذا قالها (صفرائيل) المتحكم في كوكب الزهرة، وهو يرفع مصطفى بيد واحدة من طرف قميصه الممزق نتيجة ما فعله بمخطوطة التابوت. أجاب مفزعا" بصوت يتقطع: أا اا أنا أنا لا أريد لا أريد ، سيدي، لا أريد .

- اهدأ، يا فتى واجلس هنا- يقصد تحت قدم عرشه، هكذا كان أسلوب سوجلار الخبيث!

- ما أردناك بسوء... ماذا تريد من حضارتنا؟

تحدث (برقان) "عاشق الدماء العزباء" الذي كان يقف بجوار ملك الجان، مكررًا سؤال سوجلار: ماذا تريد من حضارتنا؟ أجاب مصطفى ناظرًا: أسفل قدميه واضعا بصره على حوافر سوجلار التي تبدو كحوافر عنزة مشوهة خائفا: كنت فقط أريد أن أعرف سر التحنيط!

- ها ها ها ها. تبعتها ضحكات متقطعه لـ (صرفائيل) الذي كان يجلس هو الآخر يشرب كأسًا من دم فتاة عزباء؛ هذا ما كان يفضله.

- وأي تحنيط، يا فتى . ما اسمك؟

- أنا؟

- نعم، وهل لدينا من البشر غيرك؟

- أنا (مصطفى).

- وماذا تريد تعرف عن التحنيط، يا مصطفى.

- فقط، سيدي، سركم.

- سرنا؟؟ مممممم سأجيبك ولكن بعد أن تجيبني.

" هل أنت الآن على قيد الحياة؟ أم إننا أموات وأنت حي، أم إنك ميت ونحن أحياء؟ في مقابل هذا، السر لك والمخطوطة لنا.

كان مصطفى يترقب بعين الحذر، لأنه يعلم أن إجابته عن السؤال تساوي حياته(هذا إن كان على قيد الحياة). ترقب بنظرات بائسة أمام عيني صرفائيل اللتين تبدوان باللون البرتقالي داخلها قطعة زرقاء، وكأنها لهب بعد اشتعاله كثيرا.

أجابه بصوت مهزوز:

- نحن أموات، يا سيدي، وأنتم أحياء.

تبعتها ضربات على كتفه بيد بها ثلاثة أصابع تتخللها أظافر حمراء يتقطر منها دم الفتاة العزباء، قائلا بصوت جبلي: هذا ما أردنا. أحسنت، يا فتى. فالأموات هم أموات حضارات. وضع سوجلار يده الأخرى على كتفه الأخرى حيث كان خلفه، وباليد اليسرى رفع ذقنه لأعلى ووجَّه رأس مصطفى بإصبع من أصابعه الثلاث- التي لربما كاد أن يموت فزعًا منها- نحو فتحة في السقف بداخل الكهف الذي اختطف فيه، قائلًا: انظر جيدًا ؟ ماذا ترى؟ قال: لا أرى شيئًا. تحدث (برقان) متبسمًا ناظرًا بوجه شاحب تظهر عليه علامات السُخرية: لربما أضاع التلفاز بصره.

تعجب مصطفى قائلًا وكان مرهقًا يحاول ابتلاع ما تبقي من ريق: هل تعرف خالدًا؟ أجاب برقان في سكون من الصوت للجميع ولا صوت سوى صوت الرياح المخيفة التي تتبعها حبات رمال كادت أن تعمي مصطفى لولا وجود سترة من القماش كان يرتديها حول رقبته، وامراة تبكي على فتاتها العزباء المختطفة. هكذا كان المشهد المخيف.

قائلًا: يا مصطفى، أنا خالد. هلا رأيت هذا الخاتم في يدي من قبل؟؟ وكان لديه خاتم به إشارة رأس مثلث. وكأنه مثلث الموت(برمودا). نعم أنا هو، وخاتم خالد. لا لا لا، لم يكن به هذه الطلاسم العجيبة، حيث كان الخاتم الذي يرتديه برقان مدونةً عليه أرقام ما؛ كلها تحمل الناتج نفسه وهو رقم 15. إذا ليس هو بخاتم خالد ولكن من كان معي؟

4	9	2
3	5	7
8	1	6

قاطعه صوت (صفرائيل): وهل كان صديقك ذا حوافر كهذه. وكشف عن ساقه إذ هي بحوافر تلك العنزة المشوهة التي يمتلكها الكثير منهم. فوقع مصطفى مغشيًّا عليه، ولا يدري إلا عندما أفاق داخل قصر ملك الجان.

قصر سوجلار

مرحبًا بك نحن على بعد أميال من غرفة الطبيب (أيبي)، مر مصطفى مسرعًا إلا أنه توقف لبرهة ناظرًا لجمال النقوش التي كانت مدونة على هذا الباب. إذ بفتاة تأتي ويتبعها رجلان كل منهما أضخم من باب منزل مصطفى، وأعرض من نافذة غرفته التي كانت تطل على بائع الخضراوات. تتقدم الفتاة عنهم خطوة ويتبعها الحارسان خلفها بخطوة. وقعت عيناه على تلك العيون التي كانت تصحبها لمسات سماوية كلون سحاب ممطر وكأنه يغرق في بحرها، إلا أنه كان ينظر متمنيًا لو أنها من البشر؛ إلا أنه كان يعلم عكس ذلك، ولكن يغلب على حُسنها طابع ملاك.

هذه الغرفة للطبيب الذي كان متحفظا على أسرار غرفته.

- ماهذا بحق الجحيم؟ إنها جملة قالها مصطفى، وكاد أن يجن جنونه. إنها الأرقام نفسها التي كان يحملها خاتم برقان بترتيبها نفسه.

- اجلس هنا ولا تتحرك وإلا أصابتك لعنة الإلهة (جوتار).

- جوتار..؟ كان يتعجب مصطفى بعد سماع برقان يقولها. ذهب برقان إلى غرفة التحنيط، وبقي مصطفى بالخارج في طرقة لها أبواب عديدة أكبرها هذا الباب الذي يحمل هذه الأرقام. كان يفكر ويحدث نفسه. كيف أن خالدًا لم يأتِ معي..؟ لقد اصطحبته من منزله بنفسي. لقد كان يقول لي بضحكاته المعتادة الساخرة التي كنت أحبها:(مش ناوي تتجوز بقي)..؟ من كان معي في هذا اليوم...؟ كان الموقف أشبه بكابوس بل بجحيم إلا أن تلك النظرة التي اختطفها مصطفى من هذه الفتاة جعلت له قسطًا من المشاعر في هذا العالم المخيف.

.....

مرحبًا سيد صرفائيل: لم يجب صرفائيل على كلمات برقان، لأنه كان مشغولًا في وضع الأرقام بترتيبها حيث كوكب الزهرة الذي كان يمثل الرقم (15) الأرقام نفسها الموجودة على غرفة الطبيب أيبي وعلى خاتمه أيضًا. لعل بهذا الرقم سر ما.

- اجلس يا برقان. ماذا فعلت مع الإنسي المدعو مصطفى؟ هل وجدتم مخطوطة المؤرخ؟ أجاب برقان على ملك الجان (سوجلار) لم نجد شيئًا، سيدي. ولكن هناك أمر ما. خالد صديقه الذي تجسدنا بهيئته في ذاك اليوم بالكهف، واصطحبنا مصطفى إلى هنا. لربما تركها ذاك الفتى مع صديقه قبل أن يأتي إلى الكهف. عمن تتحدث؟ اختصر، يا برقان. ليس لدينا الوقت الكافي. أرقام الشهور الفلكية تتقارب وكوكب الزهرة يتقارب من عالمنا السفلي، وأنت- هنا- ما زلت تثرثر بلا فائدة.

- أنا أريد المخطوطة لا شيء.. عفوًا، سيدي، نحن بحاجة لوجود مصطفى معنا. هكذا أضاف برقان وأكمل لربما وجوده يفتح لنا ما نفقده من أرقام عالم الإنس.... جيد وماذا بعد.....؟

على الجانب الآخر ما زال مصطفى ينتظر هناك في طرقة القصر المجاورة لغرفة التحنيط...؟

كان يقترب من باب الغرفة مترقبًا بأنفاسٍ مرتفعة، وكأنه يحتضر.. ألقى بعينيه على بصيص شعاع كان يخرج من الأرقام المدونة على باب (أيبي) حيث إنها كانت منحوتة ومفرغة من الداخل بشكل يتيح دخول أشعة الشمس من قلبها إلى التابوت الموجود في منتصف الغرفة.

- انتبهي لما في يديك. لقد تحدثت سابقًا في هذا الأمر. أنتِ في حضرة الإلهة (جوتار). ماذا حل بكِ، يا لوجين؟

كانت كلمات الطبيب "أيبي" موجهة لمساعدته الخاصة والطبيبة الماهرة لوجين، حيث كان الطبيب يقوم بمراسيم تحنيط جثة لأحد النبلاء.

أجابت لوجين: أجل، سيدي، لا تكن قلقًا، سأعتني بالأمر جيدًا.

- حسنًا، ابنتي. علينا أن نفرغ المخ من خلال فتحتي الأنف. أنا سأفعل. وأنتِ، يا لوجين، عليكِ عمل فتحة في البطن بالجانب الأيسر ما بين 8 لـ 12 سم لإخراج الأمعاء. لا تتعدِّي هذا الرقم حتي لا يغضب علينا الكاهن الأعظم لا نمتلك من الوقت إلا سبعين يومًا، يا لوجين. حيث كانت عملية التحنيط تستغرق من موت الشخص إلى تحنيطه ثم إلى دفنة سبعين يومًا.

- علينا الإسراع، يا لوجين، قبل عودة نجم "الشعرى" وظهوره في السماء مرة أخرى.

- وما علاقة هذا النجم بما نفعله، أيها الطبيب أيبي؟ أجاب أيبي: يختفي نجم الشعرى من بداية شهر مايو ولمدة سبعين يومًا ثم يعود تقريبًا يوم 18 يوليو. ولضيق الوقت، كان أيبي يعمل بسرعة غير مسبوقة، ومصطفى يتابع عبر بصيص الشمس المؤدي للغرفة؛ إلا حدث ما كان يخشاه؟

وقعت من جيبه عملة معدنية أحدثت صوتًا كان كافيًا بأن يطلق أيبي جرس إنذار من غرفة التحنيط ممسكًا بحبل أعلاه الجرس. أمسك الحراس بمصطفى وأتوا به لداخل الغرفة. نظر إليه أحدهم وهو يعنفه قائلً : من أنت؟ وماذا تفعل؟ وما هذه العملة المعدنية؟ طلب أيبي من الحراس أن يتركوه حتى يستطيع التحدث. وبينما يتحدث أيبي مع مصطفى، أمسكت لوجين العملة التي أصدرت صوتًا بالباب، وقالت: إنها للملك توت عنخ أمون، يا سيدي. نظر مصطفى إليها وهي تتحدث وما كان جوابه إلا أنه قال: نعم هي للملك.

- نعم هي له.

- من سيدتي هذا الملك؟ وكأن مصطفى في غفوة سكران؟ حيث كان لا يرى سوى لوجين وكأنه سُحر بعينيها. وظل ينظر إليها ولا يدري ماذا يفعل. لم يفق إلا بضربات متتالية بجانبه من الحراس مهددينه بالقتل.

- لا تتحدث. احترم عراقة هذا المكان. تبدو من عالم آخر.

كانت كلمات الطبيب موجهة لمصطفى الذي كان هو الآخر لا يدري بمن يضرب أو من يتحدث، فقط لا يرى سوى تلك العينين اللتين كادت أن تسقط الغيث من جمالها.

وإذ بضربة قوية تجعله يفقد عواطفه تجاه لوجين، التي كادت أن تبتسم إعجابًا بطريقته في اللامُبالاة، إلا أنها صكت وجهها خوفًا من عقاب أيبي لها.

أدار نصف وجهه للحارس وقال: أنا باحث في علم التحنيط. أدار الحارس وجهه للطبيب أيبي فأجابه أيبي: هل أنت طبيب؟ قال: لا، ولكن أنا باحث في علم التحنيط لدى قدماء المصريين.

استمع إليه الطبيب الذي كاد أن يصدقه لولا أن العملة التي تحمل وجه الملك توت عنخ أمون ما زالت بيد (لوجين). وما هذا، يا فتى؟ قال: هي عملة متدا..... ولة.. قاطعه الطبيب: لكنها لنا؟ يقصد لحضارتنا. فأجابت لوجين: سيدي، تبدو غير أصلية.

- وكيف ظهر لكِ هذا، يا لوجين؟

قالت: ليست من الذهب ولا من الفضة.

- لكنها حديد مخلوط بقليل من النحاس. ونادرًا من الزنك. أعاد الطبيب تفكيره ثانية وحاول تصديق ما قص عليه مصطفى. كان " أيبي" يرى أن مصطفى حقًا من عالم آخر وقصته تتطابق مع وجود العملة التي لا تنتمي لحضارتهم. فكر الطبيب قليلًا ناظرًا للفتى ، قائلً : ستعمل معي، ولكن بعد موافقة مجلس العشرة الكبار.

مجلس العشرة الكبار

الملك سوجلار جالسًا على عرشه وأمامه مجلس كبار العشيرة وعن يساره (برقان) وعلى يمينه (صفرائيل). الجميع ينظر بعين الترقب والحذر من أن يتفوه البعض بحرف يودي بحياته إلى سجون (كوشيه) حيث تشتهر بغرابة أطوارها وبراعتهم في فنون تعذيب النزلاء.

- نحن ليس لدينا الوقت الكافي سيدي حتى تكتمل الأرقام مع الأيام القمرية. نحن في أشد الحاجة لمخطوطة المؤرخ التي أضعناها مع ذاك الساحر القاطن بأرض الفيروز. هذا ما طرحه بعض أعضاء مجلس العشرة الكبار على الملك. إلا أن الملك نظر إليه شاخص البصر وكأن على رأسه الطير قائلًا بصوت رخيم به أنفاس متسارعة من كثرة شرب الدماء: مصطفى. أين ذاك الفتى؟ أين فتى الكهف؟ أجاب سادو: لقد رأيته، سيدي، بالقصر بجوار غرفة التحنيط للطبيب أيبي.

كان سادو من أعوان الملك المخلصين، وقريبًا له.

أسرع سادو لغرفة التحنيط حيث فتى الكهف.

سادو وفتى الكهف

أسرع سادو ليأتي بمصطفى للملك داخل اجتماع العشرة الكبار، حيث لا حل آخر أمامهم سوى مخطوطة المؤرخ التي تحمل الرقم الناقص للأيام القمرية. فالجان يستمد قوته من هذه الطلاسم التي تتوافق مع علم الفلك.

وأيضًا الملك يستمد قوته من هذه الأرقام. وغياب جزء منها يعني انهيار المملكة وسقوط "سوجلار" شخصيًّا حتى انهيار مملكة كوشيه بسجونها وحراسها وسكانها.

وصل سادو أمام غرفة التحنيط، ولكنه سمع أن الطبيب يتفق مع مصطفى على أن يعمل معه. لقد سمع سادو الحديث. سيخبر سوجلار، وسيشتاط غضبًا، أو إنه سيقتل الطبيب أو يرسله لسجون كوشيه. أكمل أيبي الحديث. وكانت لوجين تحاول تغطية المومياء التي كادت ان تتعفن من طول الانتظار. أنت ستعمل معي هنا، ولكن بعد إخبار الملك. ردَّ مصطفى: وإن لم يوافق الملك، سيدي الطبيب. ماذا أنا فاعل؟ رد الطبيب: سأعلمك جلب المال بطريقتنا.

- مال، أي مال؟

- سأعلمك حتى تكون كبيراً (كان يقصد أن يكون وزيرًا). فالمال هنا يعني العلم والمعرفة، يا فتى.

تبعت كلماته تنهيدة من خلف الباب الذي يفتح على البطيء، حيث كان سادو:

- وكيف يكون كبيراً لدينا وهو من عالم آخر؟ وقعت الأنظار على العملة التي ألقتها لوجين فزعًا من دخول سادو، وعلمها أنه قريب للملك وأحد مستشاريه المقربين، وأنه سيبلغه بما حدث، ثم تلاشت الأنظار مرة أخرى نحو سادو.

- نحن كنا سنخبرك بكل شيء، سادو. نحن كنّـــا...

- لا تكملي.. جونتر جووووونتر.. هكذا نادى سادو على الحاجب(حارس غرفة الطبيب).

- خذ هذا- يقصد مصطفى، واتبعني حيث الملك.

أخذه الحارس من يديه التي كانت تمسك قطعة من ورق البردي الممزوج بزيت اللوتس. كان قد أخذها من لوجين سائلًا لها: وهل لي أن أكتب بلغتنا على هذه القطعة الممزقة؟

جذبه الحارس وكاد أن يضيق الخناق على معصمه بحديدة تشبه أساور كسرى إلا أنها مؤلمة. دفعه الحارس للأمام، قائلًا له بسخرية: معي للملك، يا كبيراً.

في الطريق، رأى مصطفى نقوشًا على الجدران تحمل رقم 2، 7، 6؛ وأسفلها صورة الملك وطائر العقاب وهو يقف على كتفه.

تابع مصطفى السير وهو لا يدري ما يحدث له، يتذكر كلمات والده نادمًا:

- يا بني، هذه تخاريف. لا تعبث في الكهف. يا بني، لن تصل لشيء من شغفك. لا تكن مولعًا بتجارب الآخرين فالتحنيط سر، وكيف تحصل على السر؟

كلها أقاويل تلاحقه وهو يسير خطوة تلو الأخرى باتجاه غرفة الملك.

كما أنه تبسم فجأة. نظر إليه سادو قائلً : وكأنك فرحٌ بالموت، يا فتى ..؟

ولكن سادو لا يعلم بأن هذه الابتسامة طيف تلك الفتاة التي تذكرها مصطفى حيث كانت تلاحقه بعبارات رنانة منذ أيام الجامعة، وتقول له: ستموت بحثًا عن شيء ليس له وجود. وكان يجيبها بهدوء وعمق: أنا أمتلك هدفًا أبحث عنه بعيدًا عن العالم، يا بسمتي. كان يمازحها بهذا الاسم دومًا.

أكمل الطريق والأفكار تضارب حتى كاد أن يصل.

إلى أن رأى تلك العجوز ثانيةً تبكي على ابنتها الضائعة. وقف مصطفى واضعًا علامات استفهام كثيرة حول أمر هذه العجوز التي باتت بشعر متناثر يعلوه بياض ناصع وأسنان متفرقة وشفتان متشققتان وكأنها تعذب في سجون كوشيه.

- ماخطبك؟ من أنتِ؟ ومن هذه الفتاة التي تبحثين عنها؟

- يا بني، أنا هنا منذ ثلاث سنوات فقط.

اندهش مصطفى سائلًا: ثلاث سنوات؟ ولِمَ؟ أجابت العجوز: ابنتي خُطفت بكهف مهجور يوما ما، فذهبت إلى هناك وجدت نفسي هنا.

- ماذا؟ كهف مهجور؟ في أي بلد هذا الكهف؟ ومن أي بلد أنتِ؟

نظرت العجوز إليه وكأنها تعرفه سابقًا، وكان لديها حُسن تصرف لم يخطر على قلب مصطفى يومًا ما.

- نحن من كوشيه.

أجاب مصطفى: كوشيه؟ لا أظن. وجهك مألوف برغم آثار التعذيب التي باتت تلاحقه.

أكمل مصطفى الطريق غير ملتفت. لربما كان يفكر في أمر تلك العجوز الشمطاء، أو أن له رأيًا آخر في صديقه خالد الذي اكتشف أنه لم يكن معه في ليلة

الكهف. سيظهر كل شيء عندك، يا سوجلار. هكذا فكر مصطفى بصوت خافت كادت أن تصل الحروف لسمع سادو.

- ماذا؟ أجاب مصطفى:

- لا عليك، لا تلتفت. ثرثرة حمقًاء تبدو كوجهك الشاحب. لا عليك، أيها الأحمق. أكمل طريقك حيث سيدك.

سوجلار والمخطوطة

- نحن لا نعتقد أن هذا الفتى لديه كل شيء عن مخطوطة المؤرخ.

هذا ما قاله "أبا محرز الأحمر" أشرس ملوك الجان بعد سوجلار والمُلقب بأبي يعقوب.

علينا إحضار عائلته وأصدقائه حتى يأتي لنا بها. قاطعه الصمت قليلًا مصاحبًا صوت قرع النعال التي تسير على أرض يابسة أسفلها ماء متحرك، وكأنه نهر في الجنة. سيدي، أحضرت لك الفتى أنه بالخارج. حسنًا أحضره إلى هنا، يا سادو، دعنا نعرف ما لم نستطيع أن نعرفه أثناء وجودنا معه بالكهف.

نادى سادو على الحاجب حتى يحضر الفتى.

- سيدي سادو، إنه ليس هنا.

- أين الفتى؟

- إنه ليس هنا.

صُدم الجميع، وكاد المجلس ان ينخلع من أظافره الشيطانية.

- وكيف يحدث هذا..؟

- صفرائيل.. صفرائيل... أرقد لكوكبك تابع لنا ما حدث من خلاله وأعطِ لنا صورة كاملة عن القصر، وأين اختفى الفتى.

كانت كلمات سوجلار كبرق في ليالي الشتاء أصاب صفرائيل فأخفاه.

- أين نحن؟ هل أحد يسمعني؟ نبضات القلوب ترتفع، والفوضى عارمة في كل مكان. هذا يرقص وذاك يصدر صوت نهيق، وآخر من يقرع الطبول. والمشهد رهيب من خلف العصابة التي وضعت على عين مصطفى مختطفًا لأرض كوشيه.

يا لرهبة الموقف. كان مصطفى لا يرى شيئًا، ولكنه تخيل ما هو به. اقترب أحدهم إليه، وهمس في أذنه: ستكون قربانًا للإلهة " جوتار".

- حسنًا، إنه فتى قوي، ووسيم. أحب هذا. كانت كلمات الكاهنة التي تبارك القرابين.

رُفعت عن عينه العصابة. نظر مصطفى مفزعًا كاد فمه أن يسيل لُعابه، وكاد جسمه أن يحترق من هذا المسحوق الذي كان منتشرًا بجسده. نظر مصطفى إلى يديه صارخًا: ما هذا؟؟ لونها أخضر يميل للزُّرقة. أين أنا؟ أين جسدي؟ إلا أن هذا الصراخ صمت وفي الوقت ذاته كاد أن يتحدث الحجر عما رأه مصطفى. تقرب منه هذا الشاب العملاق الذي لديه قرون كادت أن تفقأ عين مصطفى قائلًا: انظر. وأشار بالسبابة إلى عرش عظيم كعرش ملكة سبأ "بلقيس".

نظر مستنكرًا: من... من.. من هذه الملكة؟ يا رباه، إنها العجوز الشمطاء.

- "عجوز شمطاء"! اصمت، أيها المتعجرف.

ضربة واحدة من الشاب ذي القرنين كانت كافية بسقوط قطرات دم من مصطفى وانبطاحه أرضًا. تبعتها ضحكات متقطعة:

- كيف حالك، يا فتى؟ وكيف حال صديقك خالد؟ وصديقة الجامعة بسمة؟ ورفيق الفُكاهة جهاد؟

- أنتِ؟ كيف؟ وأين ابنتك؟

- ابنتي؟ ليست ابنتي بل إنها أحد القرابين للإلهة جوتار. حقًّا، أنت لا تعرف أننا عندما نفرح كثيرًا نزرف دموعنا. فلم أكن أبكي في ذاك اليوم بل كنت فَرِحة بإنتصاري على فتاة عزباء، بينما أنت لا تعرف طريقتنا.

تابعت: وعلى صفرائيل أن يبحث عنك في مكان آخر لأن المسحوق الذي كان داخل العباءة التي اختطفناك داخلها يخفي الجسد عن أعين ملوك الزهرة، ولا يستطيع أحد أن يراك بفضل هذا المسحوق.

- ولِمَ اختطفتموني وأنتم تابعون للعالَم نفسه؟ أجابته العجوز الشمطاء: نحن مملكة كوشيه، وأنت كنت بقصر سوجلار. لكننا نتنافس على الزعامة الملكية إلا أننا نسير في النهاية تحت مظلة واحدة.

أصبح مصطفى في حيرة من أمره. العجوز هي ملكة " كوشيه" والفتاة التي كان يتقطر دمها ليست ابنة العجوز، بل هي قربانٌ للإلهة "جوتار". ربما أهلها ما زالوا يبحثون عنها. أي ابتلاء، يا إلهي؟ إنها لعنة الكهف.

في سجن كوشيه الذي كان سيئ السمعة، أصبح أحد نزلائه داخل الغرفة 816.

الغرفة 816

كان على مصطفى أن يجد حلًّا ليخرج من هذا السجن الذي رُسم على هيئة عقرب.

- السجين 816. احضر لهنا... تابع السجان صاحب البشرة السمراء والجسد النحيل والطول الفارع: رقم 816.

يبدو أن مصطفى سينتهي اسمه هنا برقم ما.

- أنت، أيها الأبله. تابع السجان: هذا اسمك 816. كن صامتًا، واتبعني.

واصل السجان السير حتى خرج لساحة كبيرة. بها الصخب وكأنهم في حفلة ليلية. نظر مصطفى على هذا المصارع الفحل الذي يرتدي قميصًا يحمل رقم 492. حقًّا، إنه مصارع بارع، لقد أنهى الجولة بضربة قدم كانت كافية بكسر ضلع المنافس. تابع مصطفى النظر. هناك فوق أسوار كوشيه المرتفعة حارس بيده سوط مطاطي يمتد لأكثر من 50 مترًا؛ وآخر لديه قوس وسهام مشتعلة.

حقًّا، إنه سجن كوشيه المنيع. هذا المشهد كاد أن يصيب مصطفى بنوبة تتبعها دموع ندم.

تابع السجان: خذ هذا. كان صندوق به ثياب يحمل رقم 816، ومعه مداد باللون الأحمر وآخر بالأسود، وقلم من بوص، وشفرة صغيرة. لربما استعملها في جعل القلم مدببًا بانحناء.

- وما هذه. كان مصطفى يتساءل.

أجابه المصارع رقم 492 بعد أن أنهى جولته من القتال، ووجد ذاك الفتى باكيًا. - هذا ليس مدادًا كما تراه. ولمَ تبكي؟

- ليس مدادًا؟ ما هذا، يا رجل بحق الجحيم؟ قالها مصطفى وهو يكفكف دموعه كعلامة على انتهاء الحزن.

أجابه المصارع: إنه مداد الإلهة "جوتار".

- وماذا نفعل به؟

- علينا كتابة أرقامنا هنا.

وأشار إلى الصندوق، كان به أوراق حمراء كورق البردي، ولكن سمكها مُضاعف.

مصطفى: ولمَ نكتب أرقامنا؟

السجين: حتى تتمكن الكاهنة من متابعتنا عن طريق مداد الإلهة جوتار.

قاطعه مصطفى: وماذا لو تناسينا يومًا أن نكتبه؟

- أرجو أن لا تفعل، يا صديقي. إن أردت عدم كتابة رقمك كل يوم. عليك أن تواجه عذابا لن تتحمله، وستضاعف مدة وجودك في هذا السجن المميت.

جلس مصطفى يفكر في حديثه مع هذا السجين إلى أن جن عليه الليل.

لم يغمض له جفن في تلك الليلة، كان يفكر في أشياء كثيرة وتضارب الأفكار والأرقام، وحديث السجين معه، ومداد الإلهة، وأسوار سجن " كوشيه" العملاق.

- الأرقام؟ نعم إنها لعنة الأرقام. قالها مصطفى شاخصًا البصر مفكرًا في تلك الأرقام التي تشابهت. تابع مصطفى محدثًا نفسه:

- نعم تذكرت. يوم أن كنت ذاهبًا لغرفة "سوجلار". نعم، كانت غرفة الطبيب أيبي تحمل الأرقام نفسها، والنقوش التي كانت على الجدار 2، 7، 6.

الخاتم؟ الخاتم الذي كان يرتديه برقان. ما هذا بحق الجحيم؟ لا. لا. لا. كل هذا لم يكن مُصادفة. هناك دائرة لم تكتمل بعد.

ابن عبد البار

في اليوم التالي، خرج مصطفى من غرفته التي تحمل الرقم816 نفسه إلى ساحة السجن. وكالمعتاد المصارعة تزداد اشتعالًا.

اقترب أحد السجناء منه قائلًا : لمَ لا تشارك؟

- في ماذا، يارجل؟ رد السجين: في هذا النزال، فالفائز يحصل على قسط من الراحة أسبوعًا في استضافة ابن عبد البار.

مصطفى: ومن ابن عبد البار هذا؟

- انه الوحيد في هذا السجن الذي لا يكتب بمداد الإلهة جوتار.

مصطفى: ولمَ؟

السجين بصوت خافت: إنه يملك قدرة تجعل الشياطين في قبضته.

مصطفى: وكيف، يا رجل؟ كان عليه أن يخلص نفسه أولًا.

تابع السجين: ليس كما فهمت أنت. بل لديه قدرة على جعل لنفسه مكانة مرموقة هنا. فنصف قوة مملكة " كوشيه" معه، والنصف الآخر مع الكاهنة وسوجلار.

- مممممم، القوة متساوية إذًا، يا صديقي.

- اشكر الإلهة على تفهمك، يا أبله. قالها السجين ضاحكًا.

تبسم مصطفى قائلًا: إذًا من يمتلك سر القوة الخفية سيسود هذا العالم. إذًا سأقبل النزال وسأقاتل.

توجه مصطفى نحو ساحة القتال مستعدًّا للنزال. صاح أحد الجمهور: إنه السجين القادم منذ يومين. وردّ آخر: حقًا، إنه صاحب عضلات مفتولة. لعلنا نراهن عليه.

- إذًا نراهن عليه.

نزل مصطفى لساحة القتال يترقب. الفتى المنافس لا يبدو هينًا؛ فلم يهزم من قبل. لم يتجرأ أحد على هزيمته.

اشتبك الطرفان. وجه الفتى لمصطفى عدة ضربات متتالية أشعرته بدوران كدوار بحر. حاول مصطفى ان يستجمع قواه راقدًا موجهًا ضربة لأسفل فك المنافس لكنها أوجعته فقط!! كان المنافس قويًّا بما يكفي أن يهزم مصطفى بدون عناء. لذا شعر مصطفى بأنه في حاجة إلى حيلة ما، حيث أخذ حبات الرمل في يده ووضعها في عين المنافس الذي لم يرَ بعدها، فانهال عليه مصطفى ضربًا مُبرحًا، ثم تابعه بلكمة قوية أسفل الضلع الأيمن جعله ينبطح أرضًا مُعلنًا الحكم فوز مصطفى.

- أحسنت، يا رفيقي. لا أحد كان يصدق أنك ستفوز بهذه الجولة.

قالها السجين بعد أن عانق مصطفى مصطحبًا إياه لغرفة النزلاء.

ابن عبد البار والطلاسم

تابع مصطفى السير مع السجان الذي يصطحبه إلى غرفة القائد (آب) الذي بدوره سيرسله لابن عبد البار مكافأة له على ما قدمه في النزال، حيث أصبح مصطفى بطلا جديدًا يُعتمد عليه في سجون كوشيه إن أرادوا أن يستخدموه.

القائد آب:

- مرحبًا، يا فتى، تبدو قويًّا كما تحدثوا عنك. سنبعث بك لابن عبد البار تأخذ قسطًا من الراحة، وتتعرف على عظمته. هذا الشرف لم ينله من قبل غير اثنين أنت ثالثهم.

- حسنًا، سيدي، كما تريد. أجابه مصطفى خافضًا رأسه لأسفل رافعًا طرف إحدى عينيه مترقبًا القائد آب.

- مشكور، سيدي، سأكون أداة طيعة في أيديكم لترضى عنا الإلهة.

ربما مصطفى تفهم كيف يتعامل هنا مع قادة سجون كوشيه. إنه يمتلك من المهارة والذكاء ما يؤهله للقيام بهذا.

تابع السير في طريقه مع الحارس حيث ابن عبد البار. مرَ من ساحة سجن كوشيه المتسعة مجتازًا إياها؛ وصولًا إلى غرفة أخيرة لها باب يكاد يكون باب غرفة الطبيب أيبي. وقف الحارس في منتصف الغرفة التي بها أسِرّة (كنبة) وأشار بيده: - هنا.

- هنا؟؟؟؟ ماذا هنا، أيها الحارس؟

أجابه: أسفل الأسِرة.

- ومن أسفل الأسرة، يارجل؟ رد الحارس: ابن عبد البار. أزاح الحارس هذه الأسِرة، ورفع عدد أربع قطع من الرخام كانت موضوعة كل قطعة بجانب الأخرى مكونة مربعًا كبيرًا، إذ بأسفلها غطاء خشبي وسلَّم متصل بنفق مارٍّ بمنتصف كوشيه من الأسفل، أشبه باللعبة التي كان يفضلها مصطفى في الصغر.

وصل مصطفى والحارس إلى نهاية النفق، حيث صعد على سلم خشبي أعلاه غطاء خشبي يشبه ذلك الغطاء الموجود بالغرفة القادمين منها. طرق الحارس الغطاء الخشبي مرتين، ثم انتظر حتى رفع الغطاء.

- ياللهول، أين نحن؟ ربما قطعة من الفردوس هذه؟ أو أنها غرفة بلقيس؟

كلمات قالها مصطفى معجبًا بالنقوش والزخارف المنحوتة على جدران غرفة ابن عبد البار. قاطع إعجابه صوت رخيم كُهولي من الباب الخلفي للغرفة: مرحبًا بصاحب الرقم 816.

التفت مصطفى. إذ برجل ذي لحية بيضاء وشوارب كثيفة، وثياب بيضاء وغطاء رأس أخضر يحمل في يده ما يشبه المسبحة، إلا أنها تلمع باللون الأزرق كماسة زرقاء تشع ضوءا خافتًا، وكأنها كوكب نبتون..

نظر مصطفى إليه نظرة إعجاب بعد أن تركه الحارس وذهب من حيث أتى.

- ما بك، يا فتى؟

مصطفى: أأنت ابن عبد البار؟ قالها مصطفى للمرة الثانية معجبًا بذاك الذي وان تحدثت هيبته لأجلس نعليه فوق عرش الملوك من شدة هيبته وقوامه الممشوق برغم كبر عمره.

- تشبه جدي كثيراً.

ضحك ابن عبد البار مازحًا: وهل كان جدك بهذا الجمال، يا فتى؟ استرِح من عناء الأنفاق، وخذ هذه؛ كأس بها قليل من الماء الحي.

- ماء حي؟ وهل هناك ماء ميت؟

ضحك ابن عبد البار: يا بني، أقصد أنه من النهر مباشرة للكأس. أي لم يُخزن ويفقد خواصه.

شرب مصطفى الماء متابعًا بتنهيدة وكأنها تخرج معها عناء سفر بعيد ومشقة كبيرة. نظر إليه ابن عبد البار:

- إنك محارب من طراز فريد. لديك أساليب قتالية بارعة.

- وكيف عرفت أنني محارب؟ رد ابن عبد البار:

- يا فتى، لا يأتي هنا- يقصد في هذه الغرفة- إلا محاربين من نوع خاص. ولكنك تحمل في عينيك أمرًا ما. سأستمع لك ولكن بعد أن تتناول الغداء الخاص معي؛ فالمائدة أُعدت خصيصًا لك. هيا، يا فتى، هيا. تبعها بضربات على كتفه متلاحقة وكأنه مصارع يحفز زميله.

خرج من الغرفة إلى ساحة تشبه الساحة التي كان بها مصطفى إلا أنها تمتاز بالنقوش الرائعة، وكأن النقوش تحكي قصة ما. هناك على هذا الجدار الأبيض، رسمت فتاة تبدو جميلة يتقطر من فمها الدم؛ أمامها آخر يحمل كأسًا يشرب منها دم يسكب من على لحيته. في الجدار المقابل نقوش للإلهة "جوتار" وهي جالسة على العرش يقدم لها "سوجلار" القرابين.

جلس ابن عبد البار على طرف من الساحة إذا بوسائد مرتفعه قليلًا من

الأرض؛ وضع عليها الطعام. كان ابن عبد البار يعامل معاملة الملوك. لذا أثار فضول مصطفى سائلًا:

- هل أنت سجين أم ملك؟

أجابه: سجين ملك!! تبسم مصطفى متبلدًا: كيف؟

قال ابن عبد البار: أنا هنا لأنني أمتلك نصف قوة " كوشيه"، والجميع هنا حيث يمتلك النصف الباقي. لا أحد يستطيع أن يهرب من هنا لأن ما يزيد ميزان القوى لم يأتِ بعد.

لم يفهم مصطفى عما يتحدث ابن عبد البار، إلا أنه كان يومئ برأسه متظاهرًا أن يفهم ما يقصده، إلا أن ابن عبد البار صمت قليلًا، ثم قال: وماذا أتى بك إلى سجون كوشيه. تبدو غريبًا.

ضحك مصطفى وقال: أبدو غريبًا مثلك تمامًا، يا جدي.

ابتسم ابن عبد البار مستمعا له.

بدأ مصطفى يقص عليه قصته عندما كان بالجامعة مرورًا بصديقته بسمة التي طالمًا ذكرها. وجد نفسه متبسمًا، حتى صديقه خالد الذي لم يكن معه في هذه الليلة؛ وصديقه جهاد الذي لربما لو رأى مصطفى في سجون كوشيه لقال له مازحا: (بتتفسح من غيري، يا درش؟).

أكمل مصطفى حديثه وابن عبد البار ينصت في ذهول من أمره.

أنهى مصطفى حديثه وما زال ابن عبد البار منصتًا.

- أنهيت حديثي، يا جدي، أيها العجوز الوسيم.

قالها مصطفى مرتين. نظر إليه ابن عبد البار قائلًا:

- هل تعرف أين مخطوطة المؤرخ؟

أجابه مصطفى: كانت بالتابوت. عندما فُتح لم أر شيئًا.

رد ابن عبد البار: هل تتذكر ما نقش عليها؟

قال: نعم. ولكن لماذا؟

أجاب ابن عبد البار: لربما ميزان القوى سيصبح في صالحنا.

فرح مصطفى وكأنه يعرف هذا الرجل منذ زمن.

أكمل ابن عبد البار: أنا من هذا البلد التي يطلقون عليه " أرض الفيروز".

صاح مصطفى فرحًا:

- إنه بلدي. أنا أيضًا منه. أنا منه، يا جدي. أنا منه.

كاد أن يطير عقله فرحا بابن عبد البار.

- اهدأ، يا بني. أنا هنا منذ زمن بعيييييد. أتيت باحثًا عن كنز ما. أمتلك طلاسم؛ هي من جعلت لي القدرة على البقاء. هنا كملك وليس كسجين. ولكن ينقصنا مفاتيحها.

وكأن اللغز يتقارب بوجود مصطفى داخل غرفة ابن عبد البار.

صارحه مصطفى بكل شيء، وكأن ابن عبد البار جده والد والده. لربما ابن عبد البار بادره الشعور نفسه. واتفق معه على أن يساعد كل طرف منهما الآخر.

الطريق لغرفة أيي

طلاسم ابن عبد البار

الحرف	الاسم بالعربية	الاسم بالسريانية	الأيام التي تناسب الحرف	الكوكب الحاكم عليه	الطلاسم	الأعوان الأرضية الخادمين للحرف من ملوك الجان	الملاك العلوي الخادم للحرف

ف	فرد	للطهطيل	أحد	الشمس	*	مُذهب	روقائيل
ج	جبار	مهطهطيل	الاثنين	القمر		مُرة	جبرائيل
ش	شكور	قهطيطيل	الثلاثاء	المريخ	م	الأحمر	سمسمائيل
ث	ثابت	فهطيطيل	الأربعاء	عطارد	#	برقان	ميكائيل
ظ	ظهير	نهطتيل	الخميس	مشترى	///	شمهورس	صرفيائيل
خز	خبير	جهلطيل	الجمعة	الزهرة	هـ	زوبعة	عنيائيل
	زكي	لخهططيل	السبت	زحل		ميمون	كسفيائيل

رأى ابن عبد البار أن الوقت يسمح له بالوقوف ضد سوجلار والبقية من مملكة

كوشيه. اتفق مع مصطفى على تجميع الطلاسم. أخذ ابن عبد البار يضع يديه على جدار الغرفة متحسسًا، ومصطفى يراقب بشغف حتى وصل لمنطقة وقال: هنا... هنا. علينا أن نزيل هذه النقوش فبخلفها الطلاسم، يا فتى.

برفق أزال الحجارة التي تبدو كلوحة "موناليزا" بجوانبها نقواش كفن الفسيفساء الروماني. أخرج ابن عبد البار ورقة تشبه البردية، أو كالتي أخذها مصطفى يوم أن كان في غرفة الطبيب من لوجين.

-علينا أن نجمع الأرقام هنا، ونعرف من حليفنا ومن عدونا.

وضع مصطفى الأرقام وجمع ابن عبد البار الطلاسم في مخطوطة أخرى.

كان ابن عبد البار حريصًا على وضع كل حرف بدقة داخل جدول الطلاسم الذي أعدة خصيصا لهذا الأمر.

أعطاه مصطفى الأرقام التي كان يراها في كل مكان

وبدأ كل منهما يحاول أن يصل إلى نتيجة.

4	9	2
3	5	7
8	1	6

رأى ابن عبد البار أن يستخدم الملاك العلوي حتى يضمن السلامة. بينما قال مصطفى: لو تحالفنا مع أعدائهم- يقصد "عدو عدوي صديقي" حتي يصل للمراد من خلالهم.

رد ابن عبد البار: حسنًا، سنرى الأصلح لنا.

أضاف مصطفى: لو أن رقم 2 يساوي يوم الإثنين، فخادمه في قصر " سوجلار"

يكون هو "مُرة"؛ ولو أن رقم 7 يساوي السبت، فخادمه يكون "ميمون"؛ ولو أن رقم 6 يساوي الجمعه، فخادمه زوبعة".

أعجب ابن عبد البار بذكاء مصطفى مكملًا: ولو نطقناهم بالسريانية الصحيحة لأصبحوا في قبضتنا. ولأصبح نصف مجلس العشرة الكبار معنا.

- اذًا فلنستحضرهم الآن إلى غرفتنا. هكذا رد مصطفى على ابن عبد البار.

- فليكن الآن.

جلس ابن عبد البار في منتصف الغرفة حيث أزال من على رأسه الغطاء الذي كان يرتديه واضعا يديه على ركبتيه متمتمًا بالسريانية:

مهطهطيل

لخهططيل

جهلططيل

أقسمت عليكم بالأسماء العليا وسيد الأسماء العليا أن تحضروا.

أقسمت عليكم برب جبرائيل. أقسمت عليك برب عنيائيل.

أقسمت عليك برب كسفيائيل.. تحضروا...

شعر مصطفى بأصوات كصوت خيل في معركة لا فرار منها، وأن الجو أصبح أكثر حرارة مع صوت رياح كرياح الربع الخالي.

- ما هذا بحق الجحيم.

قالها مصطفى فزعًا مما رأى. إلا أن ابن عبد البار كان صامدًا، وكأنه أحضرهم من قبل.

تحدث مُرة وهو حاكم "القمر": نحن ملك لك، ما دامت الطلاسم معك. ماذا تريد؟

أجاب مصطفى مسرعًا: سر التحنيط.

- صه، يا فتى، أرى أنك جننت فلنخرج من هنا أولًا. هكذا أجاب ابن عبد البار متريثا.

- الطلاسم تعني وجودنا. نحن نخدم الطلاسم لا نخدم الأشياء. أضاف "مُرة"- المتحكم في القمر- هذه الجملة.

أجاب ابن عبد البار: نعلم ولكم منا الأمان، ولنا منكم الأمان. أماننا ما دمتم معنا لا يضرك الملاك العلوي.

هذا كان أشبه بمعاهدة والجملة السابقة أشبه بنص المعاهدة.

- أحب هذا. بالطبع الإثارة هي ميزان الأشياء.

كانت كلمات مصطفى قبل أن يعودوا من النفق إلى سجون كوشيه، ومنها إلى قصر سوجلار ثم لغرفة التحنيط.

برقان يخطف خالدًا وجهادًا

خطأ فادح يكلف مصطفى وابن عبد البار الكثير من الوقت والجهد. نعم لقد ذهبا من النفق بدون المسحوق الخفي الذي ما زال يحتفظ به ابن عبد البار في غرفته. رآهما " عنيائيل" الذي كان عضوًا مهمًّا بمجلس العشرة الكبار.

- سوجلار... سوجلار.. انظر. هذا الفتى المختطف.. وذاك.... ذاك من؟

- إنه ابن عبد البار.

وماذا عن باقي مجلس العشرة؟ لقد تمكنا من الحصول على الطلاسم، سيدي. والآن باقي المجلس في قبضتهم.

صمت سوجلار طويلًا ثم واصل قائلًا: أقرناؤه.

- أقرناء من، سيدي؟

- أيها الأبله، أقصد أصدقاء مصطفى.. خالدًا، وصديقه جهادًا. نختطفهما حتى نستطيع أن نلزمهما الحضور لدينا. هذا الأمر عليك، يا برقان.

هكذا كلف سوجلار برقان بخطف أصدقاء مصطفى.

تجسد برقان في هيئة مصطفى، وخرج حتى وصل منزل صديقه خالد. قابله خالد بكل سرور فرحًا بعودة مصطفى: أين كنت، يا صديقي؟ أفتقدك كثيراً.

أجاب برقان: وأنا أكثر.

- أين كنت؟؟؟

برقان: كنت أعد البحث الذي حدثتك عنه- "سر التحنيط".

- مممممممم ستموت باحثًا عن شيء هو سر، يا صديقي.

برقان: وأين جهاد؟ أفتقده كثيراً. واصل خالد متبسمًا: سحقًا لذالك الفتى الذي يمتلك أكثر درجات اللامُبالاة في الكون. ما زال يبيع طائرات من الورق للأطفال. وما زال الأطفال يصدقون أن الطائرة تطير ببترول خفي يدفعون ثمنه له.

- هيا نذهب إليه. أضافها برقان بعد أن كاد الحوار أن يطول خشية من أن يكشف.

واصل المَسير حتى وصل برقان وخالد إلى منزل جهاد.

- جهاااااد، أين أنت؟ كان خالد ينادي: أين أنت، يا فتى؟ لقد وصل صديقنا مصطفى بعد رحلة مع بحثه.

خرج عليهما من شرفة منزله مرتديًا قميصًا رسم عليه أوراق شجر. ضحك خالد من لون القميص. تابع جهاد كعادته: وهل قلت لك إنك عصفورٌ لتقف على قميصي.

- تبًّا لك، يا رجل. لقد افتقدناك. أضافها جهاد بعد مقابلته لمصطفى ومعانقته: أين سنذهب؟

- على المقهى. تبقت معي سبعة عشر جنيهًا من الطائرات التي أصنعها.

أضاف جهاد: سأشرب على حسابكما.

ضحك خالد: أنا موافق. أثناء تواجدهم وقبل الوصول إلى المقهى، تحدث برقان بلسان مصطفى: لقد ضاع بحثي هناك. في الكهف الذي حدثتكم عنه. لنذهب نأتي به أولًا.

"حيث كان مصطفى يدون معلوماته عن الحضارة المصرية والأماكن التي يزورها".

وصل الثلاثة إلى المثلث الجبلي حيث الكهف. تقدم برقان في هيئة مصطفى. لاحظ خالد أن ضوء القمر لا يعكس ظل صديقه مصطفى. حاول خالد أن يحدث نفسه قائلا: ما هذا الهراء؟ ليس هناك شيء.

إلا وبعد عشرات الأمتار داخل الكهف قال خالد: انظر، يا جهاد، انظر. إنه تابوت.

قال برقان: حقًا، تابوت المؤرخ. وهنا دفنت مخطوطته.

جهاد: أي مخطوطة، يا صديقي. هل هي من الورق؟

برقان: وهل يفيدك إن كانت من الورق أو من غيره.

جهاد: نعم، إن كانت من الورق، سيزيد دخلي لربما لـ 50 جنيه بتصنيعها لطائرات ورقية.

لم يكترث خالد لهراء جهاد الذي اعتاد عليه. مقاطعًا إياه:

- وما أهمية المخطوطة، يا صديقي- يقصد مصطفى؟

برقان: إنها تحمل طلاسم ورموز حضارة بأكملها. تحدث عنها أجدادي. إنها دفنت هنا بالكهف، ولا أحد يعرف مكانها تحديدًا.

قاطع جهاد حديثهما: دعني أذهب للخلاء، يا رجل. فالغداء كان به كثير من السوائل.

ذهب جهاد بعيدًا بما لا يقل عن عشرة أمتار، وأدار وجهه لركن الكهف قائلًا: كعادته مازحًا: لماذا مهندس الكهف لم يضع حجرًا في هذه الزاوية التي تبدو كوجه جدتي بعد كثرة التجاعيد.

سمع جهاد صوت ريح شديد إلا أنه لم يدر وجهه إلا بعد أن شعر بحرارة

شديدة تقترب منه. نظر إلى الخلف، وحاول أن لا يصدق عينيه، قائلًا : ما هذا بحق الجحيم؟ لربما تأثير الغداء ما زال مستمرًّا.

ضحك برقان: هل انتهيت عن طريقتك البهلوانية.

عندها فقط علم جهاد وخالد أنهما كانا مع "جن" وليس صديقهما مصطفى. خاصة بعد أن تأكد له شكوك الظن بأن هذا الذي كان يسير معهما بلا ظل؛ أي لا يعكس ضوء القمر ظله.

لربما نظر الاثنان لبرقان نظرة استسلام عندما كان يحلق بجناحيه أمامهما بارتفاع عن الأرض لا يتعدى مترًا واحدًا، حيث تم اختطافهم بحرفية شديدة.

لوجين

- مرحبًا، صاحب الجسد المتقلب والوجه المتلون.

- أين أصدقاء الفتى؟ تساءل سوجلار بعد انتهاء مهمة برقان بنجاح.

أجاب برقان: في الغرفة المقابلة لغرفة الطبيب "أيبي".

- حسنًا سنعرف الآن ماذا نفعل بهما.

أفاق خالد وجهاد بعد وقت طويل يكاد يتعدى 10 ساعات. نظر جهاد بنصف عين بعد أن كان منبطحًا على الأرض مُلقى على جانبه الأيسر، وأمامه خالد ملقى على جانبه الأيمن. صاح جهاد: خالد... خالد... خالد.

- أين نحن؟ أفاق خالد بلحظات بعده فزعًا.

- لا أعلم.. لا أعلم. ثم نظر إلى جهاد: نعم الكهف وأين مصطفى. لا لم يكن مصطفى. لم يكن هو. تذكرت.

- لقد اختطفنا، يا جهاد. ذاك الذي لم يكن له ظل.

- لقد حاولت أن أشرح لك بأن هناك أمرًا ما في عدم انعكاس ظله.

قاطعه جهاد قائلًا: وهل كان عليّ أن أركب له ظل؟ أم أسأله لماذا ليس لديك ظل مثلنا؟

- اصمت، يا جهاد، اصمت... ثرثرتك واللامُبالاة يزيد الطين بلة.

على الجانب الآخر مصطفى وابن عبد البار في طريقهم للقصر ومعهم " مُرة" الذي أصبح أداة طيعة في يدهم بعد امتلاك الطلاسم وفك رموزه.

وصل مصطفى وابن عبد البار قرب من غرفة الطبيب"أيبي"، وكأن مصطفى يترك شيئًا ثمينًا في هذه الغرفة التي اصبحت جزءًا من حياته الجديدة هنا. وتابعتها تنهيدة، وكأن المحب لمن أحب يشتاق. ناظرًا لابن عبد البار في عفوية قائلًا له:

- لو أن تنهيدة القلوب تكتب لكانت أوجعتني عشقًا، وأرتويت ألمًا، يا لوجين.

غضب ابن عبد البار: ما زال الشباب لا يزن الأمور على نصابها. فلنذهب، يا فتى قبل اكتمال القمر حتى نستطيع أن نقضي على سوجلار، ونخرج من هنا. فلو اكتمل القمر ستزداد قوته، ولن نستطيع إيقافه.

اختفى مصطفى وابن عبد البار في لمح البصر حيث كان سادو يمر في الطرقة يتفقد الحراس. هكذا أخفاهم " مُرة" حتى لا يراهم سادو اللعين.

وجد نفسه داخل غرفة الطبيب وأمام التابوت، وتذكر مصطفى لحظات أن كان يُضرب ولا يكترث. تبسم مصطفى متذكرًا تلك اللحظات التي برغم مرارها إلا أنها ذكرى جميلة له.

نظر ابن عبد البار لمصطفى قائلًا: سأذهب مع "مُرة" لقصر سوجلار، وأنت هنا. استحضر باقي العشيرة بالطلاسم التي تركتها معك، ثم اتبعني لسوجلار ولنقضِ عليه.

- حسنًا، سيدي. حفظت من شرورهم. أضافها مصطفى مودعًا ابن عبد البار.

فتح باب الغرفة بعد اختفاء ابن عبد البار: هذه "لوجين" أتت لتنظف الغرفة، وتحضر أدوات التحنيط حتى يأتي الطبيب "أيبي".

خرج مصطفى إليها من خلف التابوت الذي كان يختبئ عنده.

نظرت لوجين إليه نظرة ذهول: أ أ أ أنت.. أنت؟ أين كنت؟ ومن أتى بك إلى هنا؟

جلس مصطفى، وقص عليها ما حدث له. تبعتها لوجين بابتسامة ثغرها كبريق جوهرة قائلة: لم أنس ذاك اليوم الذي كدت أن تقتل من الحارس، وكانت الضربات ضربة تتبعها الأخرى، وأنت ما زلت ناظرًا إليّ.

ردّ مصطفى: لربما خدرت عيناك جروحي، وأُثلج صدري برؤيتك. أتتذكرين قطعة الورق التي تشبه البردي التي أخذتها منكِ قبل أن أذهب؟

- نعم، لقد حدثت نفسي عنك قائلة: من هذا الفتى الغريب؟ وماذا يفعل بها؟ حقًا غريب الأطوار أنت.

قاطعها مصطفى: لربما كنت هكذا، لأنك سحرتني بعينيك هاتين. نظرت لوجين للأسفل بحُمرة وجه: وماذا عن تلك القطعة من الورق، أيها العاشق؟

أجاب مصطفى: هناك في سجون كوشيه كان الوقت يمر ببطء، وأنتِ أمام عيني تمرّين مسرعة، يا لوجين. حتى كدت أن أمسك الوقت قائلًا: مر أنت كما تشاء وقف عند لوجين كي أرتوي.

كانت كلمات مصطفى أشبه بمخدر تأخذه لوجين منتظرة ماذا كتب هذا المجنون بقطعة الورق.

أخرج لها قطعة الورق التي أخذها يوم أن رآها بالغرفة للمرة الأولى قائلًا: هي لكِ، يا لوجين.

نظرت لوجين وكانت بها قصيدة.. كتبها حيث سجون كوشيه. بدأت لوجين في قراءتها، وكان شيء ما يتحسس قلبها برجفة تشبه رجفة البرد في شتاء ديسمبر.

.....

حبيبتي، هى سيدة تحكي عن ماضٍ في هذا الزمان

****

حبيبتي، هي امرأة تبوح بقصتها من الصغر في حِرمان

****

كانت أُنشُودة في مستهلها بريق وفي خاتمتها إنسان

****

حبيبتي، هي رواية جيل يعشق الابتسامة بخجلان

****

تتحدث لا بعُمرها، وتعشق بقلبها وكأنها زهرة البستان

****

تشعر بين أعناقي بطفولتها، وترجف بالنبض في كل مكان

****

قصتها تحكى عن سيدة وكأنها ملكة المشاعر وقلبها ريحان

****

مُدللة بهمسها، أُسطورة النساء بنبضها، فصرنا عشيقين

****

غيور بطبعها، حنون بوصفها، فقد تمحو بحبها بركـــان

****

مجنونة حيث أصف حديثها، تتحدث ليd وكأننا شـــاطئـــان

****

وكأن الماء يسكن مُنتصف قلبنا، وكأن السُّفن سابحة ببحران

****

بحرا يحوي عشقها، وآخر به همساتي تتحدث عنها بلا نسيان

****

تُريد الموت كي أتسلق سُلَّم الحياة، وتعشق الحياة بقلبين

****

قلبي كي تنصت إليه، وقلبها كي يروي قصة حب بلا فقدان

****

حبيبتي هي، من نقشت المعاني بأيامي وقالت: نحن طائران

****

نعيش معًا ، أو نموت معًا، فلا حياة لمن ترك القلب والوجدان

****

فقلوبنا مُلتصقه، وكأنها قلبٌ واحدٌ إن نظرت له ترى به جنتين

أضاف مصطفى: ليست القصيدة الأخيرة، يا لوجين، فهناك الكثير. أجابت لوجين: كل هذا من لقاء واحد فقط؟ قاطعها مصطفى: وهل يوجد مثل عينيك، يا سيدتي؟ أخبريني.

لوجين: بماذا أخبرك؟ أخبريني، بسحابة تحمل مطرًا كلون عينيكِ.

لوجين: لربما جعلك السجن شاعرا، يا مصطفى. أضاف مصطفى: هناك قصيدة أخرى ما زلت أحتفظ بها. قالت: أين هي؟ أجاب على ظهر الورقة نفسها، سيدتي. لربما عشقي أضاع بصرك. قصيدتي أنتِ عنوانها.

ابتسمت لوجين: ونظرت لخلف الورقة وما زال قلبها يخفق من كلمات القصيدة

السابقة كفراشة جاءت على زهر في بستان الربيع؟

تمنت لو أن الطبيب "أيبي" لن يأتي اليوم حتي تكتفي بمشاعر هذا العاشق المجنون.

هلا غادرت الأمواج يوما بحارها

****

أم تساقط الشراع من السفن فى ميائها

****

أسير والقلب يتغاضى عن جروح مثل ضفاف أنهارها

****

فالعشق وإن ذهب لا يتبقى منه سوى فواح عطرها

****

والقلب وإن ينبض، لم يشعر به سوى رجف إحساسها

****

فالصحراء لا زاد بها ولا راحلة، فهكذا أكون في بعادها

****

هكذا أسير بقلبين، عشق قلبي، ونبض قلبها

****

كالشجر كانت في ريحان القلب وتمايل زرعها

****

كالعشق أنا في صميم النبض أسير مثل ظلها

****

لست بعاشق الجاة، ولكني عشقت قلبها

****

لست بمتقلد مناصب، ولكني تقلدت نبضها

****

أكون هنا حيث تكون، أتواجد حيث طيفها

****

لا أتسلق سُّلم الكبرياء، ولكني تسلقت حبها

****

كفاني عن الشعر تدوين، فهذا يدون لها

****

وكفاني من القافية طولًا.. فالأوزان تقف في ميزانها

****

فقصيدتي تتألف من عدة أبيات، وكانت هي عنوانها

- إنه الطبيب أيبي قادم. اذهب يا مصطفى حتى لا يراك. قالتها لوجين: فزعًا بعد سماعها الحارس يعطي التحية على باب الغرفة. قال مصطفى: ولمَ أذهب؟ أنا هنا من أجله.

دخل الطبيب: لوجـــ يـــ نـــ من؟ مصطفى؟ لقد ظننت أنك قُتلت: أو أنك لن تستطيع الخروج من سجون كوشيه إن كنت سُجنت.

أجاب مصطفى ناظرًا إلى أعلى: إنني قُتلت هنا.

- يا بُني، أنا في حيرة من أمرك. أخبرني كيف يمكن مساعدتك؟ أجاب مصطفى: بعد معرفة سر التحنيط، تكون قد أديت للعالم كل المساعدة.

أيبي: وماذا لو علم "سوجلار" بأمرنا.

أجاب مصطفى: لا عليك أنا سأتولى ذلك.

كان مصطفى واثقًا من الإجابة وأيبي مستغربًا ومستنكرًا هذه الثقة الكبيرة من أين أتى بها.

وافق الطبيب أيبي ولا يعرف لماذا يوافق. إلا أن شيئًا بداخله يحدثه عن صدق هذا الفتى.

- إذًا سنبدأ العمل، يا فتى.

- لوجين، عليكِ أن تضعي هذا الفتى نُصب عينيك حتى لا يكلفنا الأمر الكثير.

أجابت لوجين بصوت يحمل الرقة: نعم، سيدي الطبيب سأهتم. إلا أن مصطفى شعر بها، وكأنها تقول للطبيب سأضعه بقلبي حتى لا يذهب بعيدًا.

- انتبه، يا مصطفى. فالخطأ هنا يساوي حياتنا جميعًا. أنت داخل غرفة الملوك، وجميع الجثث هنا لأسرة ملك أو من الكتبة والنبلاء.

قالتها لوجين متفقدة عينيه التي تبدو بلون القهوة وبريق النجوم.

قال الطبيب "أيبي": كالمعتاد، يا لوجين، عليكِ عمل فتحه من 8 إلى 12 سم في الجنب الأيسر حتى نخرج الأمعاء بشكل سليم.

- وأنت، يا مصطفى، خذ هذا. أعطاه أيبي مطرقة وإزميلًا.

- وما هذا، سيدي الطبيب؟

الطبيب أيبي: عليك عمل فتحة بجدار الأنف لنصل إلى المخ، ومن خلال الفتحة نسحب المُخ بهذه الأداة "التي تبدو كسنارة معقوفة".

استمر مصطفى بعمل فتحة داخل جدار الأنف، وكأنه طبيب ماهر. كانت لوجين تستخرج الأمعاء من الفتحة التي أحدثتها في الجنب الأيسر من الجثة تاركة القلب. تساءل مصطفى: لماذا لا نخرج القلب؟

أجاب الطبيب أيبي: لأنه مركز الروح والعاطفة، ولأنه مصدر الحساب دون غيره من الأعضاء، ولأنه الذي سيعرض على الإلهة "ماعت".

- إلهة الصدق والعدل. أكمل مصطفى عمله قائلًا: يبدو أن القلوب هي من تحاسب يا لوجين. فعلى قلبي أن يلتزم الصمت بعشقه هذا.

كالعادة تبسمت لوجين بحُمرة وجه هامسة له: إلا قلبك أنت. ربما يحاسب مرتين واحدة له، والثانية لأنه أسرني.

الطبيب أيبي: الصمت، يا لوجين.

وأنت أيها الفتى: خذ هذا. كان زيت الصنوبر الذي يتم حقنه عبر الأحشاء حتى لا تتبقى أي مواد رخوية فيتعفن الجسد.

أكمل الجميع عمله في صمت حتي الانتهاء. وطلب منهم الطبيب أن يتركوا الجثة تجفف بوضعها في "ملح النطرون" الجاف.

مصطفى سائلًا الطبيب: ولماذا نضعها في هذا الملح؟

أجابه حتي يتم استخراج المياه الموجودة داخل الجسم واستخلاص الدهون وتجفيف الأنسجة تماما.

ثم جاءت لوجين برمال. نظر مصطفى مستغربًا: وماذا نفعل، يا لوجين، بها؟

قالت له راقبني في صمت، ثم توجهت صوب الجثة، حيث وضعت الرمال بين العضل والجلد عن طريق فتحات كانت قد أعدتها لهذا الأمر.

أعطى الطبيب لمصطفى إناء به قطع شمع العسل.

مصطفى: وماذا أفعل به؟

الطبيب: أكمل، ما بدأته ضعه في فتحته الأنف والفم وأنت، يا لوجين. راقبيه ثم ضعي الباقي بفتحة البطن.

أكمل الطبيب: هذا الشمع لسد الفجوات.

قد تستغرق عملية التحنيط سبعين يومًا أو أكثر. رأى مصطفى هذا بعينه.

كاد أن يحدث نفسه قائلًا: لقد عرف هؤلاء سر المواد وأتقنوها. ليتهم اخترعوا التلفاز حتى كنا نشاهدهم كما أشاهد الآن.

داخل غرفة سوجلار

اصطحب برقان خالد وجهاد لداخل غرفة سوجلار. وقف الأخير أمام عرشه ممشوقًا، وكان عرشه شيد على مكانة مرتفعة، حيث تسمح له بأن يكون ذا قامة أمام من يأتي. لربما هذا نوع من أنواع الانتصار الذاتي لدى سوجلار الممزوج بالتكبر والغطرسة.

وقف "سوجلار" بيده عصا تشبه عصا سليمان قائلًا: مرحبًا بكما في غرفة الملك سوجلار وحضرة الإلهة جوتار. أنتما معنا هنا حتى تنتهي قصة صديقك. كان سوجلار موجهًا كلماته لخالد.

خالد: أي صديق تقصد؟

سوجلار: مصطفى، أيها الفتى. قاطعه جهاد: وماذ تريد منه؟

سوجلار: نريد فقط مخطوطة المؤرخ، وكل شيء يمتلكه ابن عبد البار عن طلاسم القصر؟

- ابن عبد البار لربما وصلنا في نهاية الأمر، يا خالد.

قالها جهاد مستنكرًا حديث سوجلار لأنه لا يعرف من ابن عبد البار وعن أي شيء يتحدث "سوجلار".

وصل ابن عبد البار ومعه "مُرة" أمام غرفة سوجلار. كان ابن عبد البار يتلو الطلاسم حتى تنسج له هالة كهرومغناطيسية لكي تحميه من سوجلار إذ فكر في إيذائه. واصل ابن عبد البار الحديث لـ "مُرة":

- نحن بحاجة إلى مصطفى. الأرقام وكل شيء معه. أنا لا أتذكر الكثير.

أجاب "مُرة": سيكون هنا الآن.

على الجانب الآخر، كانت لوجين تحضر لفائف أربطة كتانية للمومياء، وقد أعطت ظهرها لمصطفى، لأن صندوق المستحضرات كان بالمقابل.

- انظر، يا مصطفى. هذه لفائف كتانية نحفظ بها الجسد بعد وضع شمع العسل والتجفيف حتى لا تدخل أي حشرات عن طريق الفتحات. أظن أنك تعاملت معنا كطبيب ماهر.

كادت أن تكمل حديثها إلا أن الصمت يسود المكان. التفتت باحثة عن مصطفى لم تجده.

قد أخذه "مُرة"

نظر مصطفى لابن عبد البار: قد أخذت جسدي وتركت قلبي هناك، يا جدي.

قالها كعاشق ولهان مبتسمًا.

نظر إليه "مُرة" قائلًا: لربما هذة العاطفة هي الفارق بيني وبينكم.

قاطعهم ابن عبد البار: علينا أن نستحضر الطلاسم جيدًا، يا فتى، وأن نحصل على عصا سوجلار المجوفة. فقد سمعت عجوز كوشيه يومًا تقول إن لديها طلاسم تساوي حياة سوجلار.

دخل مصطفى وابن عبد البار ومرة الباب حتى كاد أن ينخلع الباب من مكانه.

كان سوجلار أمامهم وخالد وجهاد ناظرين باتجاه سوجلار.

ضرب مصطفى الباب بكل ما يمتلك من قوة حتى فتح على مصراعيه.

لقد فزع الجميع من كسر باب الغرفة الخاصة بسوجلار، ومن يجرؤ على فعل هذا؟

وفي حالة من السكون تحدث جهاد لصديقه خالد معجبًا بمصطفى: " دي داخلة حكومه".

سمع مصطفى هذه الجملة، وبالطبع عرف من المتحدث. وعلى قدر فرحه بلقاء أصدقائه على قدر حزنه بأن الجميع في ورطة حقيقية.

نظر مصطفى إلى أصدقائه ولابن عبد البار: مصطفى.. جهاد.. ماذا تفعلان؟ من أتى بكما وكيف؟

قاطعة برقان: يا رجل، كما أتيت بك إلى هنا. عليك احترام قدراتي.

عقَّب ابن عبد البار: وهل لديك القدرة على فعل شيء الآن؟

كان يقولها بثقة، نظر سوجلار إليه متبسمًا خائفًا وماذا تمتلك أنت وهذا الأبله، يا ابن عبد البار؟

بالطبع جهاد قال: أشكرك، فالجميع يناديني هكذا.

قاطعه مصطفى: كف عن مزاحك. سنموت، يا أبله. إنه يقصدني أنا، ومن يعرفك هنا؟

نادى سوجلار في الجميع قائلًا:

- أحضروا لنا سجون كوشيه الخلفية- يقصد سجون تحت الأنفاق، وهي أسوأ أنواع سجون كوشيه على الإطلاق.

جاء سادو ومعه الحراس. ألقوا القبض عليهم مشيرًا بالسبابة إلى مصطفى

ومن معه. إلا أن "مُرة" فاجأ مجلس العشرة بوقوفه وانضامه لهم. نظر سوجلار إليه قائلا: يبدو أنك لم تكن معنا من البداية، يا "مُرة"؟

أجابه: أنا مع من يمتلك الطلاسم.؟

شخص بصر سوجلار لأنه يعلم أن الطلاسم هي سر قوة من يمتلكها.

واذا بضربة قوية من مُرة كانت كافية بسقوط سوجلار من أعلى عرشه لأسفل مكان بغرفته. تابعتها ضربات خالد ومصطفى وجهاد للجميع.

إلا أن عبد البار كان يرتل الطلاسم حتى ينسج لهم هالة كهرومغناطيسية تحميهم من مجلس العشرة. سقطت عصا سوجلار أمام جهاد، الذي بدوره أخذ يضرب بها كل من أمامه حتى أصدقائه، وكأنه دخل في حالة هيستريا؛ حتى وقع الغطاء الذي كان بالعصا وظهر التجويف. كادت العصا أن تؤخذ منه إلا أن خالدًا التقطها وهي في الهواء، وأخذ ما كتب بداخلها.

وأعطاه لابن عبد البار الذي بدأ يربط الأمور ببعضها ويجمع الطلاسم، حيث امتلك القوى الكاملة، وامتلك قوة القصر، والجميع أصبح أداة طيعة في يده.

نظر خالد فرحًا إلى إبن عبد البار قائلً : لقد نجحنا... لقد نجحنا.

في تلك الأثناء ظهر على سوجلار ومن معه الضعف، حيث كاد العظم أن يخرج من الوجوه لضعفهم وافتقارهم للقوى التي كانوا يتمتعون بها.

في هذا الموقف المَهيب، قاطع الجميع صوت "جهاد":

- يا حرااااس، أعدوا سجون كوشيه لهذا الأبله.

ضحك مصطفى وابن عبد البار.

- وماذا تعرف عن سجون كوشيه يا جهاد؟

أجاب:

- أنا لا أعرف إلا طائرات الورق لا أكثر، لكني أعجبت بطريقته، وهو يقولها، فحاولت تقليده فقط.

في هذه الأثناء، تذكر مصطفى كلمة الطبيب "أيبي": يا فتى، سوف يحدق بك الجميع فاجعل الأمر يستحق.

خرج مصطفى من غرفة سوجلار سابقًا وابن عبد البار لاحقًا متجهًا إلى غرفة الطبيب أيبي. كان مصطفى يسير والفرح يملأ قلبه، لأنه سيخبر لوجين بأنه أصبح من أصحاب القوى العظمى هنا، وأن لا أحدًا يستطيع منعه من مقابلتها.

واصل مصطفى المسير حتى وصل إلى باب الغرفة غير طارق للباب فاتحًا إياه. لقد كانت الغرفة خاوية لا شيء بها. لا الطبيب لا لوجين لا تابوت لا شيء....

- أين؟ أين لوجيييييييييين؟ أين لوجين؟

نادى على الحارس الذي بدوره أنصت لحديث مصطفى، لأن القوى كانت تظهر عليه.

- أين لوجيين، أيها الأحمق؟

أجاب الحارس: لقد اختطفت من أتباع سوجلار.

- ومن أتباع سوجلار؟ قالها مصطفى والدموع في عينيه موجهًا ضربات للحارس: تحدث.. تحدث...

أجاب الحارس وهو يقطر دمًا: كان "ميمون" ومعه عديد من الحراس.

تابع مصطفى: ميمون من مجلس العشرة الكبار؟ وأين ذهب؟

أجاب الحارس: لا أعرف.

مصطفى والبحث عن لوجين

رجع مصطفى إلى ابن عبد البار وأصدقائه، وأخبر ابن عبد البار بما حدث وهو في حيرة من أمره.

- يا بني، ولماذا تهتم بها لهذه الدرجة. لقد نجحنا وسيطرنا على القصر، ولم يتبق لنا سوى أيام قليلة ولنخرج من هنا.

قاطعه بصوت شجي يكاد يختنق بالدموع وبأوداج منتفخة: أنا لن أذهب إلا بلوجين. لن أذهب لن أذهب. تابعه صديقه خالد بعناق، وحاول جهاد أن يهدئه بمزاحه المعتاد:(لا تقلق، يا عنتر، سنجد عبلة). ضحك مصطفى والدموع في عينيه.

أجابه ابن عبد البار: الآن، علينا إدارة القصر بهذه الطلاسم. وأشار للعصى وللمخطوطة التي كانت معه. نظر مصطفى إلى ما بيده حيث كان أول مرة يرى هذه المخطوطة. تبدو بشكل غير مألوف له: وما هذه المخطوطة؟ لم أرها معك من قبل.

قال له: يا ولدي، قبل أن آتي إلى هنا، قابلت ساحرًا كاد أن يتوب، ولكنه يريد أن ينتقم من عالم الجان، لذا أعطاني إياها بعد علمه أنني أمتلك طلاسم تشبهها قائلًا: ستحتاجها يوما ما.

أخرجها ابن عبد البار وأعطاها لمصطفى.. ناظرًا إليها بتعجب. لقد رسمت بها أنفاق كثيرة وحروف وطلاسم في وسطها نجمة سداسية.

- ما هذا؟

- حقًا، إنها طلاسم لم تمر على بصري من قبل.

نظر خالد إلى المخطوطة يتابعه جهاد من خلفه.

- لربما يقصد بالنجمة هذه كوكب ما. قالها خالد.

قاطعه جهاد: ولربما هذه النجمة هي غرفة كبير الملوك هنا. أعطني إياها، يا صديقي. فأنا لم أصنع طائرات ورق منذ أن قدمت لهذا المكان العبثي. قالها جهاد الذي لربما كاد خالد أن يرسل له ضربة بوجهه حتى يصمت للأبد.

قاطعه مصطفى: نعم، هي يا جهاد. نعم هي.

- أتقصد الطائرة، يا صديقي... أي طائرة، يا معتوه؟

- النجمه هي الغرفة السداسية. والأنفاق هي سجون كوشيه الخلفية.

رأى ابن عبد البار أن حديث الأبله هذا صائب. قائلًا: رب ضارة نافعة، يا بني. فلنعدَّ العدة للذهاب إلى هناك.

قاطعه خالد: ربما يكلفنا الأمر كثيرًا، يا صديقي. دعنا نعد من حيث أتينا أو من حيث اختطفنا؟

مصطفى: وربما يكلفني ترك لوجين أكثر، يا رفيقي.

- يا صديقي، ومن منا لا يعرف الحب؟ ومن منا يسير بدون قلبه؟ يا صديقي، لو قالوا لي قبل صداقتك إنك مريض لدعوت الله لك فقط، ولكن لو قالوا لي الآن لتقطع قلبي عليك. ربما خالد تفهم ما يقصده مصطفى بأن لوجين أصبحت جزءًا كبيرًا ومهمًّا من وجوده فقط بعد رؤيتها.

اتفق ابن عبد البار على الذهاب هو وخالد من طريق، بينما مصطفى وجهاد من طريق آخر. لربما اختار ابن عبد البار خالدًا لأنه أكثر هدوءًا وثباتًا.

التفت ابن عبد البار لمصطفى: يا بني، هذه من أجلك، فحافظ على نفسك من أجلنا.

عانق ابن عبد البار مصطفى، وكأنها لحظات وداع. دمعت عينا مصطفى وكان ابن عبد البار أن يذرف دمعه إلا أنه تظاهر بالصلابة والتماسك قائلًا: إن حدث لي شيء، فخذني معك لأرض الفيروز. ففيها ولدت ومنها ترعرعت. فاجعل ترابها غطاء وسترا لجسدي- يقصد أن يدفن بها.

التفت خالد: دع عنك هذا، فسنعود يا صاحب الوجه المضيء.

سلك مصطفى طريق الأنفاق الخلفي، بينما سلك ابن عبد البار طريق القصر، ومنه لأسوار كوشيه، ومن كوشيه لغرفة العجوز بها نفق مختصر للأسفل.

كان ابن عبد البار يمتلك قوة الطلاسم التي تمكنه من الذهاب في طريق كوشيه ولا أحد يستطيع التعرض له.

دخل مصطفى ومعه جهاد الذي سأل بطبعه عن "مُرة" قائلًا: وأين ذاك الذي يشبه "أفاتار"؟

رد مصطفى: سيتبعنا في الوقت المناسب. فلديه قدرة كبيرة على قطع مئات الكيلومترات في دقائق.

- وهل كان أسرع من طائرتي الورقية، يا رفيقي؟ قالها جهاد مازحًا.

أجابه مصطفى متبسمًا:

- ذكرني بأن نتركك هنا بعد أن نجد لوجين.

واصل مصطفى السير.

وفي الطريق وجد اثنين من حراس السجون يقفان في منتصف الطريق وكأنهما يحرسان شيئًا ما.

- وماذا نفعل، يا رفيقي؟ قالها جهاد.

مصطفى: لا تقلق. سنصنع أشعة كهرومغناطيسية من الطلاسم، ولكن ابق بجواري ولا تبتعد كي تشملك الأشعة ونستطيع المرور. بالفعل صنع مصطفى الأشعة التي لم تغطِّ ذراع جهاد اليسرى، فضربه الحارس ضربة أوجعته وكادت أن تخلع كتفه. إلا أن مصطفى وجه له ضربة بقوة اندفاع كهرومغناطيسية قضت عليه. حين رأى الحارس الآخر ما حل بصديقه فهرب تمامًا.

وصلا إلى نهاية النفق.

- أين الغرفه؟ لم نمر بها.

جهاد: وما هذا الباب؟ أجاب مصطفى: لربما باب الغرفة، يا رفيقي؛ أو إنه نهاية النفق والطريق. خشي مصطفى أن يخرج من الباب الذي كان أعلى رأسه خوفًا من مواجهة العدد الكثير من الحراس والطلاسم لا تنسج مجالًا مغناطيسيًّا بهذا القدر يغطي مساحات واسعة. فمصطفى يعتمد على المجال الممغنط الذي يشمل المكان فيعطيه قوة مضاعفة، ويأخذ من قوتهم في حال المجال شمل عدد الأفراد المتواجدين.

لاحظ مصطفى على ذراع جهاد من أعلى علامة تشبه الوشم لنجمة سداسية.

- ما هذا، يا جهاد؟ أجاب: لا أعرف.. لا أعرف. سأموت، يا صديقي، سأموت.

مصطفى صارخًا في وجهه: لن تموت، أيها الأحمق، قبل أن تقتلنا جميعًا بتصرفاتك الصبيانية.

ثم سأله: ماذا كان يحمل الحارس؟ أجاب: عصا.

مصطفى: أعلم أنها عصا. ماذا كان بالعصا؟

- كان بأسفلها علامة تشبه النجمة السداسية.

- هي هناك، هي هناك- يقصد الغرفة التي وجدت بالطلاسم. قالها مصطفى وهو يجر جهاد من يده مسرعًا ليعودا لمنتصف النفق.

جهاد: دعني أنهض، ثم نذهب. لا أستطيع أن أذهب زاحفًا، فلست من البرمائيات.

صرخ مصطفى في وجهه غاضبًا: انهض، يا أبله، وإلا تركت لسجون كوشيه.

هناك في منتصف النفق، يبحث مصطفى عن أي مخرج. لا يوجد.. لا يوجد.

صرخ مصطفى يائسًا: أين أنتِ، يا لوجيييين. وضرب بقدمه الحجر الصغير الذي كان ساندًا إلى الجدار. وقع الحجر وظهرت قطعة حديدية حجمها مثل كف اليد في وسطها النجمة السداسية. ضغط مصطفى عليها ففتح باب بمنتصف الهرم بالجهه الشرقية. دخل وتابعه جهاد الذي كان ينظر إلى كل شيء من حوله. واصل مصطفى السير ولا يعرف أين يذهب. هو فقط يبحث عن لوجين محدثًا نفسه: هل هذا عشق أم جنون؟ أم أن تلك العيون التي تشبه قطرات الغيث من السماء أخذته لطريق ما؟ كلها اشياء تذكرها مصطفى وهو يسير وكأنه يتذكر يوم أن قبض عليه سادو ذاهبًا لغرفة سوجلار. ولكن كان مصطفى لا يرى شيئًا إلا لوجين، حتى أن سر التحنيط وهو الهدف الأساسي لم يعد مولعًا به إلا إذا وجد لوجين. لربما تعلم من الطبيب أيبي لأجلها؛ لربما كتب الشعر أيضًا لأجلها.

قطع تفكيره الخيالي جهاد: يا صديقي، اختبئ. هناك الكثير من الحراس.

توقف مصطفى يفكر: ماذا يفعل طالبًا من جهاد العصا.

- أي عصا، يا صديقي؟

- عصا سوجلار. قالها مصطفى وهو يجز على أسنانه:

تركها هذا الأبله قبل الدخول من الغرفة السرية للنفق. كان مصطفى يريد استحضار "مُرة" لمساعدته.

كاد مصطفى أن يجن جنونه. ماذا يفعل؟ الطلاسم لن تنفعه مع هذا العدد الكبير. جلس واضعًا رأسه على جدار النفق مفكرًا: ماذا يفعل؟ وكيف يصل لابن عبد البار وصديقه خالد أو "مُرة"

الأمر أصبح أكثر خطورة.

نظر مصطفى إلى جهاد نادمًا. لم يلتفت جهاد وقام بإخرج كرة صغيرة من جيبه عليها خيوط متكاثفة.

- ما هذا، يا جهاد؟

أجابه: لا شيء. لقد جذبني لون خيوطها الأرجوانية عندما رأيتها في غرفة سوجلار عند اختطافي أنا وخالد.

- أرني إياها.

أخذها مصطفى وبدأ في إزالة الخيوط من عليها حيث وجد بآخرها مسحوقًا. إنه المسحوق السحري. كانوا يستخدمونه في عملية التحنيط لحفظ الجثث أكثر. فرح مصطفى قائلًا: سنمر بسلام من الحراس. بالطبع جهاد لا يعرف شيئًا عن ما يتحدث عنه مصطفى.

- وكيف نَمُر، يا رفيقي؟

أجابه مصطفى: هذا مسحوق أنا أعرفه جيدًا. لديه القدرة على إخفاء الجسد.

هيا كي نذهب. إلا أن مصطفى صُدم، حيث إن المسحوق لا يكفي إلا واحد فقط.

ماذا يفعل؟ وكيف يمر؟

- لا تقلق، يا صديقي، أنا سأتولى أمر نفسي. اذهب أنت.

قالها جهاد. ابتسم مصطفى ساخرًا: كيف وأنت تركت بنت أخيك الرضيعة رهنًا للدرّاجة التي كنت تستأجرها. اصمت. اصمت، يا أبله.

- سأتولى أنا حماية نفسي ببعض الطلاسم التي أمتلكها، وأنت ضع هذا المسحوق على جسدك. وكن متذكرًا هذا المسحوق يخفي الجسد. فلا أحد من الحراس يراك. - عليك مساعدتي إن حدث لي مكروه.

- لا تخف وتذكر أن لا أحد يراك إلا أنا.

كاد جهاد أن تظهر على ملامح وجهه الخوف إلا أن مصطفى طمأنه.

- لن يراك الا إنسانًا مثلنا. هل تفهم؟

أخيرًا تفهم جهاد الموقف. ذهب مصطفى إلى الساحة التي تؤدي إلى الغرفة السداسية، ومن خلفه جهاد.

أوقفه حارس: أين تذهب يا هذا؟ قال مصطفى: معي رسالة، سيدي، من سجون كوشيه العلوية إليكم هنا في سجون كوشيه السفلية.

- لمن هذه الرسالة؟

قال: لا أستطيع ان أخبرك لأنها أمر خاص. إلا أن الذي أرسلتها هي ملكة كوشيه "السيدة العجوز".

أذن له الحارس بالمرور مترقبًا هيئته الغريبة.

واصل مصطفى السير ومن خلفه جهاد.

- حسنًا، يا صديقي. لماذا أوقفك هذا الحارس؟

أجابه مصطفى: لأنني غريبٌ عن مجتمعهم.

- ولماذا لم يوقفني وأنا أيضًا غريبٌ؟

تمني مصطفى لو أن لديه سكينًا حادًّا ليقتل به هذا الأحمق صانع الطائرات الورقية حتى يقضي على اللامُبالاة التي يمتلكها.

أكمل مصطفى السير حتى وصل إلى باب الغرفة السداسية.

سأله الحراس: ماذا تريد، يا فتى، بهيئتك الغريبة هذه؟ أجابهم: أنا من خارج أرض كوشيه السفلى، وجئت لكم برسالة من ملكة كوشيه العليا "السيدة العجوز".

- إذًا، انتظر هنا قليلًا حتى نخبر سيدي "شمهورش".

انتظر مصطفى بالخارج، وكان يقول لنفسه: لو أن هذا الأبله الذي يرافقني تمتع بقدر من الذكاء في هذه اللحظات. وكأن جهاد سمع ما يجول بخاطر مصطفى فحدثه بهمس: لوجين ليست بهذه الغرفة.

قال له مصطفى: أنا سأختبئ بعيدًا، وحاول أن تنصت لهم حتى تتعرف على مكانها.

خرج الحارس باحثًا عن الفتى إلا أنه اختفى.

عندما فتح الباب، دخل جهاد للغرفة السداسية، ووجد عرشًا يشبه عرش سوجلار إلا أن موضعه ليس مرتفعًا. حيث كان "شمهورش" جالسًا معه بعض قادة السجون؛ يتحدث في أمر سوجلار وما حل به من ابن عبد البار وهذا الفتى. إلا أن قاطعه بعض الحضور: وماذا نفعل بالطبيب والمساعدة؟

أجابهم : أطلقوا سراح أيبي فلا حاجة لنا به، وشددوا الحراسة على الغرفة

816 حيث المساعدة- يقصد مساعدة الطبيب. فنحن بحاجة إلى عصا سوجلار التي اختطفها هذا الفتى.

على الجانب الآخر ابن عبد البار مصطحبًا خالد فقد قطعوا مسافة كبيرة من المسير وهما لا يعرفان أين يذهبان. أخرج ابن عبد البار الطلاسم، واستحضر "مُرة" قائلًا: أين مصطفى وصاحبه؟ ابحث لنا عنهما.

دقائق وعاد "مرة": هما في سجون كوشيه السفلية حيث "شمهورش".

- فلنذهب إلى هناك. تابع خالد: وهل مصطفى بخير؟ أجابه " مُرة": للآن بخير. علينا اللحاق به حتى لا يصيبه أي مكروه. إلا أن " مُرة" أوقفهم قائلًا: عصا سوجلار ما زالت عالقة في منتصف النفق الذي سلكه مصطفى وصاحبه.

عرف خالد أن صديقه جهاد هو الذي فقدها في منتصف الطريق. ذهب الجميع للحصول على العصا، لأنها تمثل لهم أهمية وقوى كبرى إلا أن ابن عبد البار قال لـ " مُرة" استحضر لنا العصا أولًا حتى لا يأخذها غيرنا. حسنًا أكمل انت وهذا الفتى الطريق المختصر لسجون كوشيه السفلى، وأنا سأجلبها لك. خشي ابن عبد البار أن يحصل "مرة" على العصا ويستغلها لصالحه. إلا أن " مُرة" أيضًا كان يحتاج ابن عبد البار لأن دائرة الطلاسم لا تكتمل إلا به. هذا ما طمأن ابن عبد البار قليلًا.

حصل "مرة" على العصا، ووصل ابن عبد البار وخالد لأسوار كوشيه. التحق بهما "مُرة" وجده ابن عبد البار قائلًا: أنت الأن مصدر ثقة كبيرة. ابتسم خالد قائلًا: علينا أن نجد الرفقاء.

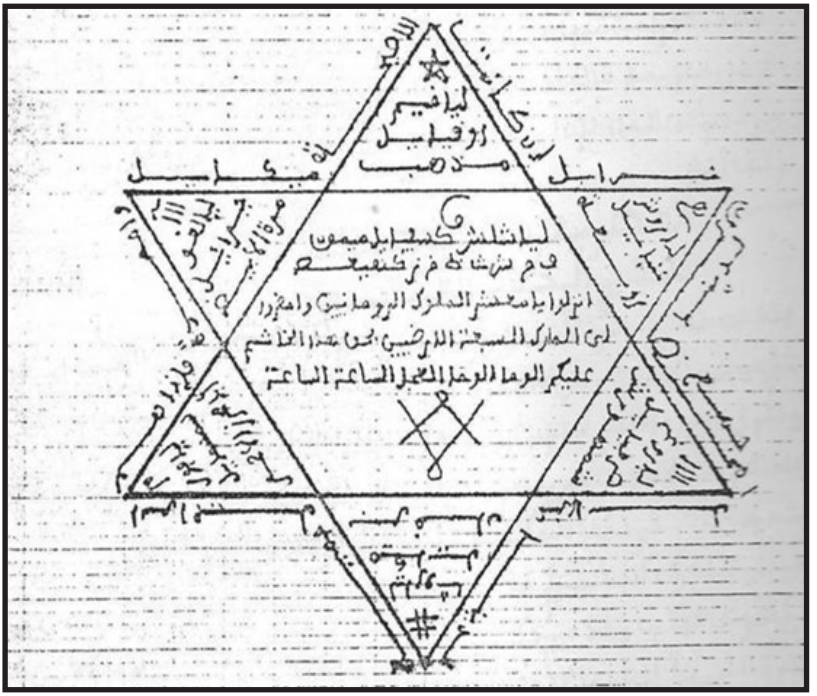

الغرفه 816 سجن كوشيه السفلي

علم جهاد بما يدور. خرج عندما فتح الباب مسرعًا يبحث عن مصطفى. وصل إلى ساحة السجون المكشوفة "الساحة الخارجية". وجد مصطفى يحاول الهروب من الحراس بإخفاء وجهه.

- يا صديقي، لوجين في الغرفة 816. قالها جهاد لصديقه الذي وقف قليلًا يتذكر هذا الرقم قائلًا: إنها الغرفة نفسها في سجون كوشيه العلوية.

طلب من جهاد أن يبحث عن الغرفة جيدًا والمداخل المؤدية إليها، ثم ذهب مصطفى مختبئًا بعيدًا عن الساحة حيث كثرة الحراس. إلا أنه في الطريق أوقفه هذا الحارس الذي يحدق بالجميع. وقبل وصول الحارس إليه، تذكر مصطفى مقولة الطبيب أيبي ثانية: "سوف يحدق بك الجميع لذلك اجعل الأمر يستحق".

ذهب مصطفى إلى الحارس وقال له: أين حارس هذا المكان؟ أجابه: أنا. ومن أنت؟؟ أجابه مصطفى: أنا موكل من سيدك "شمهورش" بقيادة هذا المكان. لربما أنصت إليه الحارس من فرط قوته التي كانت تظهر عليه والمجال المغناطيسي الذي كان يتمتع به.

- أجل، سيدي، أجل. قالها الحارس لمصطفى.

إلا أن مصطفى طلب منه تفقد السجون. بالفعل، أخذه الحارس ليتفقد السجون حتى وصل غرفة 816. قال: افتح هذه الغرفة. إلا أن الحارس قال له:

سيدي، هذا الغرفه لا تفتح إلا بإذن "شمهورش"، لأنه قال لنا هذا. صرخ مصطفى به موجهًا له عدة ضربات قائلا: وأنا موكل منه بقيادة السجون، أيها الأبله.

أجابه الحارس: أجل، سيدي أجل. فتح الغرفة. دخل مصطفى وكانت ضربات قلبه تزداد فزعًا على "لوجين". وجدها نائمة على الأرض واضعة ذراعيها تحت رأسها. أمسك بيدها. نظرت إليه باكية. اجتذبها بين ضلوعه حيث وضعت يدها على صدره قائلة: لقد عذبت كثيرًا. كان العناق حارًّا لدرجة أن مصطفى لن يستطيع أن يبتلع ريقه أو أن يأخذ أنفاسه بانتظام. صاحب العناق تنهيدته المعتادة، وكادت تدمع عيناه لولا أنه أراد أن يبث في نفسها القوة: سأجعل من عذبك يندم حتى يتمنى الموت فلا يجده.

ربما وجود مصطفى طمأن "لوجين".

- ربما يستغرق الأمر طويلًا، حبيبتي. ولكن لن أستغني عنكِ بشيء أو بآخر. وسط كلمات متزاحمة، ابتسمت لوجين وكأن وجهها لم يبتسم منذ فترة ليست بالقصيرة قائله له وهي تنظر إلى عينيه التي تشبه فنجان القهوة: أعِدْها.. أعِدْها.

قال مصطفى: أعيد ماذا؟ قالت له: "حبيبتي".

ضحك مصطفى وقال: لربما كان العشق في العينين أبلغ من الحديث هذا. تابعته بضربة على صدره مازحة: وهل كان الصمت قاتل أم الحديث؟

أجابها: لعل الصمت موجع والحديث أوجع، يا لوجين؟ فالصمت كل ما يتمناه هو أن يتحدث بعشقه، والحديث لا يكفيه العشق، حبيبتي.. ربما فهمت لوجين أنه عشقها بجنون لدرجة أنه يخاطر بكل شيء من أجلها. هذا كان يكفي قلب لوجين التي طالما نظر إليها مصطفى. ارتوي كزرع في صحراء يشتاق إلى الماء.

دخل جهاد السجن حيث كان يسير مختفيًا. فزعت لوجين عند رؤيته. إلا أنه نظر إليهما قائلًا: لربما عبلة تستوجب مغامرة أخرى، يا صديقي. حقًا، لو كنت

أعرف حسنها حتى أغامر معك. أدارت لوجين وجهها لمصطفى: من هذا الأحمق؟ وكيف وصل إلى هنا ولم يمنعه الحراس؟

أجابها مصطفى: هذا جهاد صديقي. نظر جهاد إليها وقال: نعم، جهاد صديقه صانع طائرات ورقية ومدير شركة إنتاج بنزين الطائرات. لم تلتفت كثيراً لهراء جهاد. حتى قطعه صوت السجان الذي جاء ليخبر الجميع بأن "شمهورش" لم يجعل أحد نائبا عنه على سجون كوشيه.

حاول مصطفى الخروج من الغرفة مسرعًا مصطحبًا "لوجين" قابله السجان والحراس. وضع مصطفى مجالًا مغناطيسيًّا على لوجين، وحاول الهروب بها من الحراس إلا أنه لم يستطع تحمل كم الضربات التي واجهها فالأعداد كثيرة، وهو لم يهتم بنفسه، فوضع كل ما لديه لحماية "لوجين". ربما مصطفى كان يتعامل بقلبه لا بعقله، أو لأنه كان خائفًا على لوجين لدرجة أنه أراد أن يضحي من أجلها.

وقع مصطفى في الأسر. نظرت لوجين إليه وإلى الحراس صارخة بصوت يكاد يختفي من الدموع: اتركووووه.. اتركوه.. هو لم يفعل شيئًا.. اتركووه. إلا أن مصطفى نظر إلى صديقه جهاد قائلًا: "خذها واذهب آخر النفق" واحصل على ابن عبد البار. إياك، يا صديقي أن يحدث لها شيء. أنا أحذرك. إياك، افدها بعمرك، يا جهاد.

ذهب جهاد ومعه لوجين التي مازال المجال الممغنط يحميها، وما زال جهاد يحتفظ بسر جودة المسحوق.

سلك طريق ساحة القصر إلا أن "مرة" استوقفهم وتبعه ابن عبد البار وخالد.

احتضن جهاد خالدًا قائلًا: لقد سُجِن مصطفى. لقد سجن.

- اهدأ، يا فتى. وأخبرنا بما حدث؟ قالها ابن عبد البار.

إلا أن لوجين أخبرته. نظر إليها ابن عبد البار وهو يومئ برأسه قائلًا:ا

- الآن أقولها صراحة. صديقكم هذا مجنون.. مجنون؟

خالد: لماذا؟ أجابه ابن عبد البار: لقد وضع كل القوة الكهرومغناطيسيه في خدمة لوجين، وترك نفسه بلا حماية. أي عشق هذا، يا فتى؟ بربك أي عشق؟ بكت لوجين ناظرة لأسفل: أنا لا أعلم، سيدي بأنه أعطاني كل القوة. ربما كان يقول لي أنتِ كل ما أملك، ولكن لا أعرف أن كل ما يملك سيقتله يومًا لينقذني؟

- لا عليكِ، يا ابنتي، فلنذهب ولنعيده. قالها ابن عبد البار مطمئنًا الجميع.

واصلوا المسير نحو السجون إلا أن "مُرة" أخبرهم أن مصطفى ليس بها؟

فزع خالد: أين؟

عرف ابن عبد البار أن "شمهورش" يتمتع بقدر من الذكاء الذي يجعله يضع مصطفى بغرفته تحت سيطرته هو وقادته.

- أنا سأذهب إلى هناك فلدي مسحوق يخفي جسدي. قالها جهاد. إلا أن عبد البار أجابه: لن تستطيع المقاومة. فهي غرفة التحكم؟

لوجين: وماذا نفعل؟ رد خالد: لا نعرف فلنفكر قليلًا.

صاح جهاد: لدي فكرة، لدي فكرة. ضربه خالد على ظهره: تحدث، ولا تكن مزعجًا. قال سنعطي "مُرة" عصا سوجلار يعطيها لـ "شمهورش".

قاطعه خالد: غبي. أكمل جهاد: سنضع بها طلاسم مضادة لقوة "شمهورش". هذه الطلاسم بدورها ستتحول لقوة إشعاع عاكس، لأن مصطفى يستمد قوته من ضعفهم، فتزداد قوته كلما كانت العصا موجودة.

أعجب ابن عبد البار بالفكرة إلا أنه كان خائفًا من تطبيقها؟

وافقت لوجين: فكرة جيدة. تبعها خالد و"مُرة": ليست سيئة. ولكن كيف: قال جهاد: سنرسل العصا مع "مُرة"، وكأنه اختطفها منا، وحاول إعادتها لـ

"شمهورش". قاطعه ابن عبد البار: لكن قوة "مُرة" ستضعف في الطريق حتى يصل، لأن العصا ستستنزف الكثير من طاقته. أضافت لوجين.

- لدي محلول كنا نستعمله في عملية التحنيط حافظًا للجسد. كان معي عند اختطافي أنا والطبيب أيبي. سنجربه على "مرة".

وضع المحلول على ذراع مرة. وكتب ابن عبد البار الطلاسم المضادة. انتظر الجميع يشاهد ابن عبد البار سائلًا مُرة: هل تأثرت؟ هل شعرت بشيء؟

أجابه: لا سيدي، ما زلت بخير.

فرح الجميع بالفكرة. وقال ابن عبد البار لــ مُرة:

- سنلحق بك. انطلق مُرة حتى وصل لغرفة "شمهورش" أذن له الحارس بالمرور.

- مرحبًا، سيدي "شمهورش". لقد تحصلت على عصا سوجلار التي ستعيد للمملكة هيبتها. فرح "شمهورش" كثيرًا بما رآه. لكن غضب مصطفى الذي كان مكبلًا بجوار عرش "شمهورش" قائلً : لا ثقة لكم، لا ثقة لكم. أطلق "شمهورش" ضحكات كانت تحدث صدى صوت بالغرفة، وأمسك العصا. وحاول "مرة" التحدث معه أطول فترة وهو ماسك العصا. كان "شمهورش" ينظر إلى الجميع، وكأنه أصيب بدوار بحر، والجميع كذلك. حتى وصل ابن عبد البار والبقية.

دخلوا عليهم الباب بعد أن قضوا على كل من في المكان. ذهبت "لوجين" إلى مصطفى تفك قيوده، حيث كان بجوار عرش "شمهورش" قائلة له:

- كل ما أملُك هو كل ما تملك. كانت تعني بأنهما أصبحا قلبًا واحدًا بجسد واحد؛ لا أحد يستطيع فصل القلب عن الجسد إلا بالموت.

على الجانب الآخر، يصيح "شمهورش" ممسكًا بعصا سوجلار: اقبضوا عليهم.

إلا أن جهاد الذي يتمتع بقدر من الذكاء والغباء معًا قاطعه: العصا هي سبب ضعفك، أيها الأبله؟

كاد الجميع أن يقتلوه، فلا يكمل شيئًا لآخره كما هو.

قال مصطفى: وهل تنتظرون من هذا الأحمق شيئًا؟

استطاع مصطفى أن يخرجهم من الغرفة سالمين إلا أن سوء الحظ الذي يلاحقهم قد يقتلهم جميعًا. فقد اكتمل القمر. هذا يعني زيادة قوة قصر سوجلار و"شمهورش" وكوشيه، وأيضًا انتهاء مفعول المسحوق. إلا أن اكتمال القمر يعني قوة طلاسم المخطوطة لو استعملت استعمالًا جيدًا، أو لو أن مصطفى وابن عبد البار يعلم بهذا.

أصبح الجميع مرة أخرى في قبضة القصر. الأمر أصبح أشبه بعقدة لديهم. فكل مخرج ينتهي بواقعة تفتح بابًا آخر. انتهت بهم الحال في سجون كوشيه مرة أخرى. ابن عبد البار ومصطفى وجهاد داخل غرفة؛ مصطفى ولوجين في غرفة أخرى. ربما وضعوا مصطفى مع لوجين حتى يضغطوا عليه بتعذيبها أو يحصلوا على المخطوطة كاملة. وجد الجميع أنفسهم في مأزق. أصبح ابن عبد البار مسجونًا مرة أخرى إلا أن هذه المرة لم يتمتع بصلاحيات حيث أفقده هذا الأبله الجالس أمامه كل شيء. جلس ابن عبد البار بركن الغرفة منفردًا يفكر: هل كنت أحمق عندما أنصت لذاك الفتى- يقصد مصطفى، أم إن صديقه المعتوه هذا سببٌ فيما نحن فيه، أم إنها الأقدار؟

قاطع تفكيره جهاد معتذرًا عما بدر منه. واعترف أنه متسرع نوعًا ما ولن تتكرر مثل هذه المواقف. إلا أن خالدًا نهره: وكيف لا تتكرر؟ ونحن هنا بالسجن. لم يعد لاعتذارك قيمة، يا صديقي. أنهيت كل شيء بعفويتك هذه. كن كما أنت طفولي. تركه خالد ذاهبًا لركن منفردًا إلا أنه أدار وجهه قائلًا: ربما كثرة تعاملك مع

الأطفال جعلتك تسير على خطاهم بأفعالك الصبيانية. الجميع أصبح يشير لجهاد بأصابع الاتهام. وتناسى أن على قدر أفعاله هذه كان سببًا في نجدتهم في بعض المواقف. جلس ثلاثتهم منفردين؛ كل منهم يحاول أن يجد حلًا.

اجتماع مجلس العشره وقادة سجون كوشيه

في ساحة القصر، اجتمع الجميع يتناقشون حول ما حل بقصرهم ومملكتهم من ابن عبد البار ومن سانده. طرح سوجلار على "شمهورش" فكرة بحيث لا يفقدون قوتهم مرة أخرى قائلًا: وضع ابن عبد البار أولًا في سجن منفرد، ومحاولة الضغط على تفكيره من خلال تشويش الخلايا داخل المخ، وهي وظيفتك، يا "شمهورش". فالقوة الآن معنا، ولا يستطيع ابن عبد البار فعل شيء. ومن خلاله، نستطيع سرد المعلومات الخاصة بالمخطوطة وما توصل إليه هو وذاك الفتى، وكيف نستطيع أن نحمي أنفسنا فيما بعد منه ومَن على شاكلته من جنسه.

أعجب الجميع بالفكرة وأبدي الجميع تفاعلًا مع حديث سوجلار، وبدأ تنفيذ المخطط.

في اليوم التالي، جاء السجان من أقصي الطرقة يتبعه حارس آخر. وقف الحارس أمام غرفة ابن عبد البار ومن معه. دخل السجان ووضع الحديد بيد ابن عبد البار. صرخ خالد: أين تذهبون به. اتركوه اتركوه. حاول جهاد منع الحارس إلا أن الحارس انهال عليه ضربًا، وتم اقتياد ابن عبد البار خارج الغرفة مكبلًا. هناك في أقصى الطرقة المجاورة، اصطحبه السجان حتى وصل إلى سجنه المنفرد الذي يكاد يشبه الغرفة السداسية التي كان يبحث عنها.

لم يكن ابن عبد البار مطمئنًا لهذا. كان يعلم أنهم أرادوا شيئًا ما، لكنه لا يعرفه.

جلس يفكر حتي جاء إليه السجان بكسرات من الخبز اليابس ووضعها أمامه. لم يقترب منها، حتى نظر إليه السجان قائلًا: ستموت جوعًا، يا رجل. تحسس وجهك فالعظام كادت أن تبرز منه.

لم يلتفت إلى حديث السجان. ربما ما يفكر به أثمن من كسرات الخبز التي لا يوجد غيرها هنا.

اتفق "شمهورش" على أن يرسل لابن عبد البار أقوى من يمتلك. إنه العظيم بالنسبة إلى هذا المجلس العملاق.

إنه شيطان العقبة "الخيتعور" المراوغ الذي يتلاشى كالسراب. حقًّا، لن يستطيع ابن عبد البار الصمود أمامه. إنه قوي بدرجة كبيرة جدًّا.

وصل "الخيتعور" إلى غرفة ابن عبد البار الذي كان نائمًا، فلا يستطيع ابن عبد البار رؤيته. دخل الغرفة ناظرًا إلى هذا العجوز الذي أثقلت المتاعب وجهه وأحنت الهموم ظهره، ومحت رونق بشرته؛ محدثًا نفسه: هذا الكهل لن يستغرق كل هذا. لِمَ سوجلار وشمهورش يشددون عليه الحراسة هذه؟ ولِمَ طلبوا حضوري؟

الأمر بسيط جدًّا. حاول " الخيتعور" الضغط على خلايا مخه ومنع وصول الدم كاملًا إلى المخ حتى يدخله في نوبة كسكرات الموت. كان ابن عبد البار يتقلب كالشاة بعد ذبحها. يختنق. يحاول أن يستيقظ من نوبته هذه؛ كأن شيئًا يقبض على حنجرته ويداه مكبلتان. بالفعل هو الشعور نفسه الذي كان يشعر به في فترات الصبا وهو نائم. إن شيئًا يحاول قتله ولا يستطيع الصراخ. إلا أن هذا الشيء لم يفق منه. أنا نائم، سأستيقظ. أنا نائم، لكنني لا أستطيع الاستيقاظ. طالت نومته؟؟؟ نجح الخيتعور في تحطيم بعض الخلايا لابن عبد البار.

على الجانب الآخر، خالد وجهاد يحاول كل منهما أن يجد مخرجًا، خاصة بعد وضع ابن عبد البار بسجن منفرد، ولا يعرفان ماذا حل به.

....

اتفق شمهورش مع باقي المجلس على إرسال رسالة لهذا الفتى بسجنه؛ بإفهامه أن الطلاسم تساوي حياة "لوجين" أو أنها ستنقذ رقبته من الإعدام غدًا. وصل السجان برسالته إلى مصطفى، حيث كان يجلس "قرفصاء" بعيدًا عن لوجين واضعًا رأسه على ركبتيه، وكأن شيئًا تغير. تقربت منه لوجين قليلًا : عليك أن تنصت لعقلك الآن لا لقلبك، عليك أن تخرج من هنا. فلا تهتم لأمري سأكون بخير.

الأمر أكثر تعقيدًا الآن. ستموتِ لوجين أو يموت مصطفى. لأنه يعلم بأنهم لو أخذوا الطلاسم لن يتركوها تعيش، لأنها حاولت مساعدته من قبل. نظرت لوجين إلى مصطفى بعينين براقتين لامعتين قائلة: وكأنك لم ترني. افعل ما كنت تفعله وكأنك لم ترني.

نظر مصطفى إليها بابتسامة اليأس.

- تمنيت لو أنني لم أرَكِ، فقلبي لا يستطيع أن يتركك وعقلي لا يفكر بعيدًا عنكِ. تمنيت لو أنني في هذا اليوم لم أمر على غرفة الطبيب "أيبي" فقط إني مريض بك، يا لوجين، ولا شفاء إلا وجودك معي.

بكت لوجين في محاولة أخيرة أن تجعله ينقذ نفسه من الموت، وهو ثابت على جملته: "أنا مريض بك، يا لوجين". محدثًا نفسه: أي مرض هذا الذي تفشى بقلبي ولم يترك به نسيج دم إلا وتملكه؟ أي عشق هذا الذي جعلني لا أرى سواها؟ يا لوجين. نحن لا نختار من نحب.. مهما نحاول التأقلم على طريقة الآخرين عطفًا على مشاعرهم ستهزم مشاعرنا أمام من نحب. هل تفهمتِ؟ ستهزم مشاعرنا أمام

من نحب. عليكِ أن تجدي حلًا آخر بعيدًا عن لوجين، يا لوجين. فلن أسمح لأحد بمسها ولو كانت نفسها.

كانت لوجين تتأكد من رد مصطفى إلا أنها كانت تحدث نفسها في محاولة أخيرة لإنقاذ هذا الذي ذهب عقله.

.....

أفاق ابن عبد البار بعد عناء شديد مما فعله به "الخيتعور" وكأنه يفقد شيئًا من ذاكرته، محاولًا تذكر شيء فلا يستطيع. كان يشعر بصداع يدق بعينيه ويشق رأسه. أصبح ابن عبد البار أشبه بجسد بلا روح، بينما جلس خالد وجهاد اللذان كانا يبكيان على اللبن المسكوب. فلا فائدة من البكاء بفعلة جهاد الأخيرة التي أصبحت عالقة بالأذهان.

وجد جهاد الوقت بالسجن كثيرًا، فاقترح على خالد أن يبتكر لعبة حتى يضيع الوقت أو يمر الوقت بلا ملل. ربما كان الاقتراح مستفزًا شيئًا ما من جهاد إلا أنه لاقى قبولًا من الأخير الذي بدوره أصبح ينتظر الموت بالبطيء.

- حسنًا، وما اختراعك، يا صاحب المصائب؟ قالها خالد لجهاد مستنكرًا لأفعاله.

أجاب الأخير: لعبة الشيطان والملاك. سأحاول خداعك كشيطان، وكن أنت كملاك لا يتأثر.

- كيف يا رجل؟ قالها خالد في تساؤل المتعجب من أمر الأخير. رد جهاد عليه بإخراج ورقة من حقيبته الصغيرة التي كان يحملها بداخل ثيابه. تبدو كحافظة نقود كبيرة. أخرج منها ورقة تبدو غريبة في شكلها عن المألوف. سأله خالد وماذا نفعل بهذه الورقة؟ قال له: سيدوِّن كل منا اسم لملاك والآخر لشيطان ثم نرى كم حرف للملاك وكم حرف للشيطان. فإن كانت الأحرف لك أكثر، فأنت فائز ولك

الحق في ضربي، وإن كانت لي أكثر فأنا الفائز ولي الحق في ضربك. ربما كانت اللعبة سخيفة شيئا ما إلا أن خالد لم يجد غيرها.

- اتفقنا؟ فلنبدأ...

قبل بدء اللعب لاحظ خالد أن الورقة مكتوب على ظهرها ما يشبه الطلاسم سائلًا جهاد: ما هذا، يا صديقي؟ أجاب الآخر: لا تكن ثرثارًا هي قطعة من الورق وضعتها بحافظتي يوم أن قبض علينا سوجلار من داخل غرفته. ربما تفهم خالد أمرًا ما. نظر إلى هذا الأبله قائلًا:ا ولماذا لم تخبر مصطفى أو ابن عبد البار؟ أجابه جهاد: وهل كان ابن عبد البار صانع طائرات ورقية؟

حقًا، لا يصدق هذا الفتى العبثي. إنها جزء من مخطوطة المؤرخ. كان خالد لا يعرف ما بداخلها إلا أنه تأكد بأن بها شيئًا مهمًا.

المُحاكمة

بات الجميع في حالة من الذعر والهلع حيث قرر مجلس العشرة إعدام ابن عبد البار ومصطفى ومن معهما. كان الأمر أشبه بلحظات الوداع، حيث كان كل منهم ينظر إلى الآخر حاملًا كلمات كثيرة، لكنه لا يستطيع الخروج من صمته لأن الأمر أصبح لزامًا.

وفي اليوم الأخير، اجتمع سوجلار بأعوانه، وقرروا محاكمة كل الخائنين في ساحة المملكة حتى يكونوا عبرة للجميع؛ وتقديمهم كقرابين للإلهة جوتار.

حمل الحارس معه ملابس النحر، لتقديم القرابين للإلهة. كان الحارس يسير بخطى منتظمة، حيث كان ممشوق القامة رافعًا رأسه لأعلى. وصل إلى غرفة ابن عبد البار، ووضع ملابسه بغرفته. نظر ابن عبد البار إليها في صمت؛ ربما تفهم ابن عبد البار الأمر بأنهم أصبحوا قرابين للإلهة "جوتار". أكمل الحارس مسيره حتى وصل إلى غرفة جهاد وخالد. نظر خالد متسائلًا: ما هذا؟ إلا أن شيئًا بداخله كان يقول له هذه تشبه "بدلة الإعدام". بينما على الطرف الآخر جهاد الذي كان يحاول تجميع أسماء الشياطين استعدادًا للعبته المصطنعة، قام مهرولًا نحو باب السجن: هذه ملابس جديدة. حقًّا، ملابسي متسخة جدًّا.

نظر خالد إليه قائلًا: حتى لا تنام في القبر متسخًا. إن كان هناك قبرٌ يحويك، يا أبله. تفهم جهاد أخيرًا أنه سيكون قربانًا للإلهة جوتار. نظر جهاد إلى خالد؛ كاد أن يبكي إلا أن خالدًا وجه له كلمات أسكتته لليوم الآخر قائلًا: وضعتنا من قبل في يد "سوجلار"، ثم أدخلتنا السجن بفعلتك السابقة، ثم الآن اكتشف أن لديك جزءًا من شيء ما له علاقة بالطلاسم وأنت لا تتحدث. ماذا تريد، يا صانع الطائرات

الورقية؟ ماذا تريد أن تفعل بنا؟ لسنا من تركناك منذ الصغر وحيدًا بملجأ أيتام، ثم تبناك أحدهم عطفا عليك ولكن مازالت الطفولة عالقة بعقلك.

الكلمات كانت قاسية جدًّا على جهاد؛ كالسيف يضرب ولا يُبالي؛ كصاعق كهربائي بقلبه. كاد جهاد أن يموت من كلمات صديقه. ذهب جهاد وبيده ملابس القرابين ً لآخر الغرفة محدثًا نفسه: لماذا، يا صديقي؟ أعايرتني بذنب لم أُذنبه أم أن ملجأ الأيتام كان سببًا في ذلك؟ فقط ما ينقصني هما والدان مثلك. ربما أنا هكذا لأنني خرجت إلى الدنيا بلا أم تحويني وأب يناجيني. أنا لست طفوليًّا، فقط أحاول استحضار نظرة حنين أو ابتسامة صبا. فقط أنا كما أنا أعمل بالطائرات الورقية وأتعامل مع الأطفال، لأن قلبي ما زال هناك، يا صديقي. حيث كان قلبي طفلًا، لكن عقلي أصبح كهلًا. فقط أنت تنظر إليّ من نافذتك أنت، لا تحكم على الأشياء، يا صديقي. لمجرد أنك تفهمت ما بها من الخارج، ربما ما بداخلها يجعلك نادمًا لباقي العمر. قف هنا بنافذتي كيتيم أم وأب، وانظر حتى تحكم بكلماتك هذه.

.....

كان الحديث مع النفس طويلا لجهاد الذي قتل قبل أن يكون قربانًا.

دخل الحارس الغرفة واضع الحديد بيد جهاد وخالد حيث ساقهما إلى غرفة كبيرة بآخر الطرقة. دخل خالد وجهاد الغرفة وجد طعامًا كثيرًا، وكأنهم أرادوا أن يحسنوا ضيافتهما الأخيرة. نادى عليهم الحارس عليكم الأكل جيدًا كي يقبل قربانكما، لأن الإلهة جوتار لا تقبل الجوعي.

جلس الاثنان لا أحد يحدث الآخر. ربما لأن نهايتهما أصبحت محتومة أو أن جهادًا شعر بخنجر بصدره منذ الليلة الماضية.

واصل الحارس حتى جاء إلى غرفة مصطفى ولوجين. وضع الملابس لهما، حيث أبدت لوجين عدم اهتمامها بالأمر، لأنها كانت تعرف هذا جيدًا. بينما نظر إليها مصطفى قائلًا: لم يتبق لنا الكثير، عزيزتي.

ردت لوجين: بيدك الكثير، ولكنك لا تريد.

- ماذا؟ أي كثير، يا لوجين؟

أجابت أن تتعاون مع سوجلار وتعطيهم المخطوطة، فهي الآن لم تمثل خطرًا كبيرا عليهم بينما تمثل خطرًا على حياتك أنت ومن معك.

كانت لوجين تحاول استدراج مصطفى لمحاولة أخيرة قبل أن يصبحا قربانين غدًا؛ لعلها تنقذ هذا الذي خاض الصعاب من أجلها.

أجابها مصطفى: وماذا عن قلبي حتى يتركك قربانًا؟ وماذا عن سوجلار الذي لن يتركنا مهما تعاوننا معه؟

فقط هي سويعات قليلة وسنصبح ذكرى تحت الأرض وبداخل قصر الجان.

"إنها لعنة الكهف حقًا، يا جدي". كان مصطفى محدثًا نفسه في لحظات ما قبل القُربان.

نظر إليها قائلًا: أين ذهبت العينان السماويتان اللتان تحملان غيثًا كي أرتوي بهما؟ أين ذهب ثغر حبيبتي من تبسُّمهِ؟ أجابت لوجين بوجه يحمل الكثير والكثير من الهموم وبشعر متناثر جاف يغطي جبهتها وجزء من يسار وجهها واضعة يدها عليه حتى تتضح الرؤية كاملة: عليك أن ترى بوجهي هذا آثار التعذيب التي خير شاهد على حبي لك. كنت لا أتحدث ولو فعلوا أكثر. فقط انظر إلى وجهي جيدًا لربما ترى تجاعيد صنعها الموقف أو أنني كبرت حقًا، يا من ملكت القلب بريعان شبابه. ارحم قلبًا أصبح رهن الكهولة بعشقه لك.

كانت كلمات "لوجين" كأنها دافع حقيقي يجعل هذا الفتى لا يفقد الأمل في أن يحصل على حبيبته، ويحاول تضميد جُرحها العميق الذي بدأ من تلك الغرفة كمساعدة للطبيب أيبي.

- سأكون حيث تكونين. آخر جملة قالها ناظرًا إلى لوجين قبل أن يأتي الحارس في صباح يوم المحاكمة. الجميع أصبح رهن الخوف والفزع. سيق الجميع مكبلًا. فدخل ابن عبد البار بأغلال جاءت من قدمه لرأسه ثم مرة أخرى ليديه.

وهذا جهاد الذي يأتي ممشوقًا كالنخل عن الأنظار مرتفعًا لأول مرة بحياته يكون واثق الخطى "إلا أن هذه المرة خُطاك قُربانًا لجوتار، يا صديقي"..

ثم جاء من الطرف الآخر مصطفى ولوجين التي باتت بقلب مشبع بالآلام. ومصطفى الذي يبدو عليه الإرهاق إلا أن شيئًا يجعله غير فاقد الأمل.

الجميع يترقب فهناك في آخر ساحة سجون المملكة بمكان مرتفع بمترين تقريبًا جالسًا سوجلار وبجواره السيدة العجوز"عجوز كوشيه" ومن الجوار الآخر يجلس الملك الأحمر والخيتعور وبرقان. المجلس يكتمل، يا صديقي. لقد تجمع الخصوم في يوم معلوم على فتى الكهف وأصدقائه.

قرعت الطبول كأنها طبول الحرب إلا أن تابعها نفير البوق وصوت كعويل الكلاب. نعم إنها طقوس قرابين" جوتار".

نظر ابن عبد البار إلى مصطفى ولوجين. بينما نظر جهاد إلى أعلى لربما يناجي ربه. يتمتم بشيء لا أحد يفهمه. إلا أنه ما زال محتفظًا بحقيبته الصغيرة داخل ملابس القرابين. تم فك قيودهم جميعًا. اصطفوا على خط واحد؛ أمامهم تمثال الإلهة "جوتار" الشموع مضاءة حوله. تم وضع قدر أمام كل واحد منهم. هذا القدر سيسال فيه دم كل منهم، ثم يجمع الدم ويوضع عند قدمَي التمثال.

الجميع يترقب سوء العاقبة إلا واحدًا هناك ينظر إلى السماء مرتلًا شيئًا ما. إنه جهاد. نظر ابن عبد البار له وكأنه يرى شخصًا آخر غير الذي كان معهم. إنه جاد لدرجة تجعلك تهابه لعظمته صمته. ماذا حل بالفتى؟ كان يسأل ابن عبد البار نفسه. اقترب الجميع من بعضه ووضع رأس كل واحد على حامله من الخشب تشبه تلك التي يقطع عليها الجزار ذبيحته.

كان رأس مصطفى متجهًا لرأس لوجين الذي كانت هي الأخرى كذلك. ربما فضل كل منهم أن يموت ناظرًا للآخر، أو أن الأقدار جمعتهم بهذا الشكل.

"تلك النظرة التي سرقها يوم أن دخل قصر سوجلار الآن سيعيدها". نعم سيعيدها للأبد.

- الأمر مفزع، يا صديقي وما زال جهاد شامخًا كنجم في ليالٍ صيفية ساطع للجميع.

نظر جهاد إلى ابن عبد البار قائلًا: هناك شيء ما بقميصك يا جدي. أخرجه لعله ينفعنا.

فقد وضع جهاد ورقة بقميص ابن عبد البار عندما كانوا صفًا واحدًا. وجد ابن عبد البار الجزء الآخر للمخطوطة يوم أن كان يمتلكه سوجلار. إلا أن جهادًا كان لا يعرف استخدامه. وضعت الورقة أمام عين ابن عبد البار، وكأنك وضعت دليل براءته. إنه يبتسم، ثم همس مناديًا على مصطفى الذي كان يستعد للموت ناظرًا إلى من لا يرى غيرها. قائلًا: صديقي، ما زلت تحفظ بعض الطلاسم. أجابه: نعم، ولكن لم يعد شيئًا ينفع. فالمخطوطة ليست معنا. قال ابن عبد البار: أنا أنصت لك. قل لي ما تحفظه. ردد مصطفى ما يحفظه على ابن عبد البار الذي كان يستمع إليه وكأنه يأخذ كل حرف بمفرده.

جمع ابن عبد البار الطلاسم، وأخذ يتمتم بها حتي صار وجهه شابًا يافعًا

وأيضًا مصطفى عاد كما كان. وهناك لوجين بوجهها الشاحب قليلًا وشعرها الجاف المتناثر.

- يعود الغيث لتلك العينين، يا صديقي.

قاطعهم صوت جهاد قائلًا: عليكم أن تتعلموا من صانع الطائرات. فلا تحسبن الصبا جنون وطفولتي ما زالت عالقة. إلا أنني لا أعطي لشيء أكثر من قدرة. وبصوت به الفخر يختلط بالبكاء وبأوداج منتفخة. نادى: أين أنت يا "مُرة". فلتخرج يا صديقي، لهؤلاء الأوغاد.

- ماذا؟

الجميع كاد أن يرى شخصًا آخر أمامه غير ذاك الذي كان لا يلقي بالًا لشيء.

- انظر. إنه جهاد يا رفيقي. قالها خالد لمصطفى وعيناه تدمعان. انظر أنه صديقي. أعتذر منك، يا رفيقي. أنا لم أقصد أن أسيء لك في هذه الليلة.

قالها خالد لجهاد الذي كان يقف شامخًا، ومن أمامه "مُرة" الذي حضر حين استدعاه جهاد.

قائلًا له: " ما زلت على العهد، يا "مُرة". يوم أن قرأت الطلاسم ولم أستطع أن أفعل شيئا وجئت لي ملبيًا ندائي.

فقد استحضره جهاد في هذه الليلة التي سبقت يوم القربان. لكنه لم يستطع استخدامه؛ لذا أخذ منه الوعد أن يكون معه حتي يوم المحاكمة، ويعطي الورقة لابن عبد البار الذي يُحسن استخدامها.

سقطت عصا سوجلار، وضعف الجميع لدرجة أن من كان حاضرًا من مجلس المحاكمة أصبح كهيكل عظمي لا حول له ولا قوة.

احتضن الجميع جهادًا معتذرين له. وعادت ثانية المملكة في قبضتهم.

بينما اختطف مصطفى عناقًا من بين الزحام لمحبوبته لوجين. كادت أن تعانق الضلوع بعضها لولا نظرة جهاد لهما قائلًا: "ماذا كنت تفعل، أيها الأبله. لو لم أكن معك.

تحول الموقف لسرور وعناق بعد أن كان حزن ودماء.

إلا أن ابن عبد البار استعد للخروج، ولا مجال لطريق آخر. بينما طلب مصطفى أن يكمل مسيرته نحو التعرف أكثر على هذه العوالم الخفية وقصور الجان.

عودة أيبي

بعد انتهاء يوم المحاكمة والذي حوله جهاد ليوم عيد بالنسبة إلى الباقية قرر الجميع العودة من حيث إن جاءوا.

إلا أن لوجين قررت البحث عن الطبيب "أيبي" وما زال قلب مصطفى معلقًا، وكاد أن ينطلق معها باحثًا عن أيبي. إلا أن الجميع حذره من سوء العاقبة، وأنهم لا يضمنون العودة والبحث عن أيبي في الوقت ذاته. حاول مصطفى أن يقنع الباقية، حيث كان يتحدث فقط بقلبه. إلا أن الجميع هذه المرة رفض الأمر بتاتًا.

فما كان على مصطفى إلا محاولة التحدث معها لإقناعها بالبقاء، لكنها تعلم أن أيبي هو السبيل الوحيد لبقائها هنا آمنة. انتهي الحديث بذهاب لوجين للبحث عن أيبي مودعة مصطفى بعناق حار، وبورقة أخرى تشبه ورقة البردي الأولى قائلة له: إن التقينا ثانية أعدها ممتلئة بكلماتك التي يخفق القلب لها.

نادى ابن عبد البار على لوجين واضعًا يده على رأسها متمتمًا بشيء ما من الطلاسم. كما أعطاها سلسلة صغيرة بها صندوق صغير لا يتعدى عقلة الإصبع حيث وضع داخل الصندوق ورقة بها طلاسم؛ ربما كانت تحتاجها لوجين في طريق بحثها عن "أيبي".

ذهبت لوجين ومعها قلب هذا الفتى الذي كان ضعيفًا في غيابها. إلا إن خالد وجهاد كانا يخففان عنه قليلا ..

ذهبت في طريق غير مألوف.. حيث بدا خاليًا من جميع الكائنات. تسير منفردة. أين تذهبين لوجين. الطريق ليس به شيء. كانت تحدث نفسها. إلا إنها واصلت المسير قليلًا حتى أرهقها المسير، فجلست على شيء ما. وضعت يدها بجوارها كي تستند إلى هذا الشيء إلا أنه قبر منبوش، والعظام متناثرة. نظرت مفزعة أمامها وخلفها. وجدت قبورًا كثيرة، لكنها جميعها منبوشة... عظام متآكل. وأنصاف جثث أشلاء. إلا أنها سمعت صوتًا غريبًا يشبه ذاك الصوت يوم المحاكمة.

إنه صوت عويل امرأة كعويل الكلاب... التفتت لا شيء إلا أنها أحست شيئًا ما خلفها. شعرت بشيء يتحسس جسدها بهمس لا يكاد أن يرى أو يحس إلا قليلًا.

فزعت ناظرة إلى الخلف لكن لا شيء.

أكملت طريقها مهرولة، لذا فقدت قطعة صغيرة من ثيابها التي قد تشابكت بشيء كانت تجلس عليه. ولكن الوقت تأخر لبعد منتصف الليل والقمر ما زال خافتًا، والدخان كثير بالمكان. كادت لوجين أن تختنق. إلا أنها رأت شيئًا لم يصدقه العين.

كيف؟ هي؟ بالفعل هي؟ إنها العجوز الشمطاء.

كانت العجوز الشمطاء تنبش القبور وتأخذ الجثث وتضع بفمها طلاسم ورسومات لأشخاص.

ثم تأكل نصف الجثة وتترك البقية كأشلاء بها الطلاسم. كانت الدماء تسيل من فم العجوز، التي نظرت قائلة: نحن نضعف لكن لا نموت، يا لوجين. ستدفعين ثمن انحيازك لهم كثيراً، حين يعود القمر مكتملًا، وتعود الطلاسم لنا.

إلا أن لوجين أدارت نصف وجهها قائلة: يستخدمونك السحرة في إيذاء الغير حتى يكونوا جثثًا هامدة أمامك وتشربين الدماء وتأكلين الأشلاء. في مقابل معلومات زائفة، أيتها الشمطاء.

لن تنفعكم دماء الفتاة العزباء التي تسيل من فمكم أنتِ وباقي مجلس العشرة.. ولن تنفعك أكاذبيك الزائفة واستدراج البعض إلى هنا بوهمهم إنكِ تبحثين عن ابنتك المختطفة.

انكشف سرك، أيتها الشمطاء، وستسقط مملكتكم قريبًا.

لن تسقط.. لن تسقط... لن تسقط... سنأخذكم جميعًا قربانًا، وسأضع الدماء بالكأس مستمتعة بتلك اللحظات، يا لوجين. أتمنى أن تكوني كما أنتِ عزباء حتى يكون دمك قربانا نقيًّا للإلهة جوتار. سنعووود، سنعود، يا لوجين.

تركتها لوجين وأكملت طريقها.. حتى وصلت بعيدًا عن المملكة. كانت الشمس تشرق شعاعًا برتقاليًّا يعكس ضوءه على تلك العيون التي ما زال الفتى عالقًا هناك بها.

وصلت لوجين إلى أناس يقطعون الحجارة من الجبال، سألتهم عن الطبيب" أيبي". لا أحد يجيب.

أكملت باحثة حتى وصلت لأرض لا يعرف أحد بها أحد. غير إنهم يقدسون العلم وصاحبه. تحدثت لوجين لأحدهم الذي أدار وجهه مبتسمًا لها مرحبًا سيدتي. وجدت لوجين نفسها الجميع ينعتها بـ "سيدتي".

- ماذا؟ هل تعرفونني؟

أجابها البعض: هنا، لا أحد يعرف الآخر. فقط أصحاب المعرفة لهم سمات الجميع يراها على الجبين. كلما زاد علمك، ظهر في نقاء عينيك وجبينك الوردي.

تفهمت لوجين الموقف بعد علامات استفهام كثيرة. سألتهم عن طبيب يدعى "أيبي" قالوا لها: لا نعرف الأسماء سيدتي، ولكن يوجد هنا فقط أصحاب

الوجوه. لم تفهم لوجين. قال لها البعض: مثلًا، سيدتي وجهك الحسن. وهناك الوجه الجميل والأنيق، والقبيح، والحادب، والأجعد والأكحل، والأبلج.

على قدر العلم يكون لون وجهك. فأنتِ صاحبة الوجه السماوي وهي صفة لا يمتلكها غير القليل هنا. لذا سنرسلك للمعلم الأول صاحب الوجه السماوي. حسنًا فلنذهب. ذهبت لوجين وهي تنظر إلى الوجوه. ما بين الشاحب والأسود والجميل والقبيح. أعجبت بهم قليلًا، حيث إنهم يقدرون العلم فلا مجال لجاهل أن يرتقي سُلم العلماء، لأنه سكيشف عن وجهه القبيح.

أكملت حتى وصلت إلى تجمهر كحلقة علم وبأوسطها رجل جالس ممسكًا بيده قارورة ماء، ويضع عليها مادة أخرى حتى تحولت لمادة جيلاتينية متماسكة بعضًا ما. نظرت إليه لوجين لكنها لم تعرفه، حيث كان هناك شيء يغطي وجهه، ولم تظهر منه سوى لحيته فقط.

انتظرت حتى انفض مجلس العلم، وذهب إليه، حيث حاول أن ينهض، فأمسكت بيديه قائلة له: سأساعدك، يا جدي.

- شكرًا، ابنتي.

نظر إليها غير مصدق.

- لوجين؟ أجابته: الطبيب أيبي؟ عانقها؟ أين كنتِ، يا ابنتي. لقد افتقدتك كثيرًا. التقى مرة أخرى بعد رحلة من العذاب بسجون كوشيه ومغامرة جنونية من فتى الكهف. أخذها حيث خيمته. أدخلها ووضع أمامها بعض الطعام محدثًا إياها عن رحلته، وكيف جاء إلى هنا، ثم استمع إليها لتقص عليه ما حدث. كادت أن تفيض عين الطبيب أيبي مما حدث لمساعدته.

- لوجين.

لكنه نظر إليها بنظرته المعتادة الحادة قائلًا: ما زال الفتى يحبك، يا لوجين. لا أحد يفعل ما فعله إلا عاشقًا. أجابته لوجين: اعلم، سيدي. لكن وجودي أصبح يسبب له المتاعب، ربما يستقيم طريقه يومًا ما إن افترقنا.

رد أيبي قائلًا: ولماذا لم يستقِم طريقك منذ ذاك اليوم الذي سُجنت به وافترقنا. لماذا بحثتِ عني ثانيةً؟ سيدي الطبيب، أنت مُعلمي ووالدي الذي فقدته وكل شيء.

الطبيب أيبي: القلوب التي لا تترك معلمها الصنعة. كيف تترك معلمها المشاعر، يا لوجين؟

أرى بعينيكِ عشق يفوق هذه المملكة. أنا أعرفك جيدًا. أعرف أن هذه العينين لا ترى إلا جميلًا، وهذا القلب لا يشعر إلا بجميل. عليكِ إعادة حساباتك وستكونين على مايرام. نظرت لوجين للطبيب صاحبتها تنهيدة مغمضة عينيها. أتعلم أنني منذ تركته وذهبت في طريقي بحثًا عنك أشعر بشيء ما ينقصني، فقط، لا أشعر بالأمان. كنت خائفة لأول مرة. وجودي بالسجن لم يكن هكذا. فمجرد رؤيته، كان يعطي لي بصيصًا من الأمل وكثير من الأمان. سيدي الطبيب أشعرت من قبل أن أحدهم أن تحدث يجعل قلبك يتألم، وإن صمت جعله يتألم أكثر.

الطبيب أيبي: كيف، يا لوجين. أجابته: الألم هنا له مذاق ما. وكأنني أدمنت ألم قلبي وارتجافه عند رؤيته. والصمت يصاحبه ألم اشتياق.

قاطعها أيبي مبتسمًا: وأي شيء تريدين، يا ابنتي؟

لوجين: فقط الأمان. أجابها أيبي: وهو يعني لكِ الأمان إذا هو. أشارت برأسها: نعم، هو.

- إذًا، فلنذهب له، يا لوجين. علينا أن نذهب إليه.

نظرت لوجين إلى الطبيب أيبي قائلة: دعنا هنا قليلًا من الوقت حتى نستريح من عناء السابق.

أيبي: كما تريدين، يا ابنتي. هيا بنا نذهب إلى المختبر الكيميائي الذي أعدته هنا. وهل لديك هنا أيضًا مختبر، يا سيدي؟ أجابها العلم كالروح لا يفارق الجسد إلا بالموت، يا ابنتي.

اللقاء الأخير

ذهب مصطفى في طريقه متعبًا، محملًا بآلام الفراق، متسائلًا: هل أحصل على لوجين مرة أخرى؟ أم إن القدر له رأي آخر. قاطع تفكيره جهاد قائلًا: في أي طريق نسير، يا صديقي. نظر مصطفى إلى ابن عبد البار الذي قال لهم: لا أتذكر الكثير، ولكن سنمر من طريق الأنفاق حتى نجتاز المملكة، فإن وصلنا إلى طريق الكهف فإننا بأمان. أجاب خالد: وإن لم نصل؟ علينا التحري جيدًا. ليس لدينا الوقت الكافي، ولا نعلم أي شيء سيحدث لنا في هذه المملكة الملعونة.

- اهدأ، يا رفيقي، لا تكن متوترًا. سنصل. حتمًا سنصل. قالها مصطفى وهو يشير برأسه تأكيدًا واطمئنانًا لخالد.

- إذًا علينا أن نتخذ طريق الأنفاق لا شيء آخر.

أكمل الجميع السير لا شيء آخر أمامهم غير طريق الأنفاق. الظلام يخيم على المكان. يكاد مصطفى لا يرى من معه إلا أن الجميع اتفقوا على أن كلًّا منهم يمسك بيد الآخر. ذهب ابن عبد البار في المقدمة ممسكًا به مصطفى وأمسك بمصطفى كل من خالد وجهاد. تكاد تسمع ضربات القلوب من البعض خاصة مصطفى الذي يشعر ولأول مرة أنه خائف؛ ليس من الظلام لكنه خائف. فهل كانت لوجين تمثل له الأمان أيضا؟ ربما.

وصل ابن عبد البار حتي آخر النفق توقف قليلًا.

- لمَ توقفت؟ قالها مصطفى متسائلًا. أجابه: هل كان عليّ أن أنعطف إلى الجهة الشرقية أم الغربية؟ لا أحد يعرف. يخاف ان يسير في طريق مخالف، فالجان كان يضيء الأنفاق إلا أن بعد هزيمتهم أصبحت معتمة.

اتفق الجميع على السير نحو الجهة الشرقية. نظر خالد ممسكًا بيد جهاد.

- يا صديقي، سنسير. ولو داخل قصر الجان مرة أخرى، فلا تلقِ بالًا.

كانت كلمات جهاد تطمئن مصطفى، لأنه شعر بخوفه حين أمسك بيده، فكانت ترتجف شيئا ما.

نحو الجهة الشرقية، انحدرت صخرة ضخمة من أعلى النفق كادت أن تقتلهم جميعًا. إلا أنها وقعت أمامهم بما لا يزيد عن نصف متر. أصبح الجميع في حالة ذعر وهلع؛ إلا ابن عبد البار الذي صدم عندما وجد أن الصخرة الضخمة قد أغلقت الطريق الشرقي.

جلسوا جميعًا يفكرون. لا شيء أمامهم سوى الذهاب من الطريق الغربي حتى لو كلفهم الأمر كثيراً. وصلوا إلى الطريق الغربي في صباح اليوم التالي متعبين. كل منهم حاول أن يستريح بمكان ما من عناء الطريق. حقًا كانوا متعبين، لأنهم ناموا كثيرا، لقد أفاقوا في بادئ الليل. الجميع يتساءل: كم لبثنا.

- ليس بالكثير، يا فتى الكهف. قالها جهاد. نحن فقط متعبون. أكملوا سيرهم نحو الغرب أكثر، فوجئ الجميع بصوت يشبه صوت عويل الكلاب الا أنه غير ذلك. أخذ الجميع يترقب مصدر الصوت. إلا أن جهادًا نظر بعيدًا هناك خلف مكان يشبه مقام الأولياء؛ مرتفعًا نوعًا ما عن الأرض؛ يغلب عليه اللون الأخضر. خلفه شيء ما يختبئ. لقد ظهر منه طرف الثياب الذي يبدو باللون الأسود.

- انظر، يا صديقي. انظر، إنه هناك. قالها جهاد لصديقه مصطفى. ذهب كل

منهم في اتجاه حتى يحاصروه. إلى أن وصلوا لهذا المكان المهجور، وجدوا لا شيء بداخله؛ سوى قبر مرتفع قليلًا عن الأرض وحوله العظام المتناثرة. نظر ابن عبد البار إلى الجميع قائلًا: لا شيء هنا. فلنذهب. غير أن جهاد رأى دماء بجانب هذا المكان. تلمَّسها بيده. إنها دماء لشخص قتل الآن.

نادى على ابن عبد البار والجميع يتحسسون المكان:

- نعم إنها دماء لشخص قتل الآن، لكن لا يوجد أحد.

نظر ابن عبدالبار حوله قائلًا: حاولوا الذهاب بعيدًا. غير أن مصطفى قال: فلنتفقد الغرفة من الداخل.

- أي غرفة، يا رجل؟

- غرفة القبر هذه، يا خالد.

نظر نحو الداخل وجد شيئًا ما يأكل بشراهة، وكأن الجوع يقتله. دقق النظر إذ هي العجوز تأكل الجثة. نعم، إنها العجوز الشمطاء. فزع مصطفى متقهقرًا للخلف. حيث خرجت ويتقاطر الدم من فمها وبيدها أشلاء أخرى تتقاطر دماء، ناظرة لهم وهي تبتلع الدماء.

- سنعيد مملكتنا. سنعيدها. فلن تسقط المملكة، وستكونون قربانًا للإلهة "جوتار".

نظر مصطفى إلى ابن عبد البار حتى يقضي عليها. إلا أنه لم ينصت له قائلًا: ربما تنفعنا.

- وكيف تنفعنا، يا جدي؟

أجاب ابن عبد البار متمتمًا بترانيم ما. والعجوز الشمطاء تصرخ وتلطم وجهها، ويزداد صراخها مدويًا في أرجاء المكان، وكأنها تعذب بصاعق كهربائي

أو باقتلاع أظافرها كما يفعلون بسجون كوشيه. وتقول له: اتركني.. اتركني.. أنا أحترق.. أحترق.. سأحترق.. سأموت... ماذا تريد مني؟ سأعطيك ما تريد.

أجابها ابن عبد البار في صوت صارخ: من يعطيكِ القوة حتى تستعيدي وجودك بالمملكة، أيتها الشمطاء؟

- سيدي، إنه.. إنه؟

- إنه مَن، أيتها الشمطاء، من؟ أجيبي.

- سيدي، إنه ساحر أرض الفردوس؛ يعطينا القوة بكفره بربه وإيمانه بنا وبسوجلار. في الحقيقة، هو يعتقد أننا نقدم له خدمات لا أحد يستطيع تقديمها له. إلا أنه هو من يقدم لنا هذه الخدمات. وحقًّا، لا أحد يستطيع تقديمها لنا غيره ومن على شاكلته.

- كيف؟

- فقط هو مصدر وجودنا. نطلب منه تمزيق كتابه المقدس فيفعل؛ نطلب منه الاغتسال باللبن فيفعل. لقد طلبنا منه ذات مرة أن يخلو بنفسه أربعين يومًا لا يحدث أحدًا، وأن يتغوط ولا يغتسل ففعل. مقابل هذا خرج له سوجلار وأعطى له قرينًا من الجان يخدمه في أمور تبدو غير مستحيلة. فقط يعرف اسم فلان القادم إليه. أو يعرف ما مشكلته فيخبره بها. ثم يبني على ما أخبرناه به كثير من الكذب فيصدقه البشر ويجمع منهم الأموال.

- وكيف تقدمون خدمات لمن يأتي لهذا الساحر؟ سألها ابن عبد البار.

أجابت العجوز الشمطاء قائلة: إن هذا الساحر يعمل بتغسيل الأموات. إن أراد إيذاء أحد فقط يأتي بشيء منه، ويكتب عليه طلاسم نحن نعطيها له، فكل الطلاسم تناشد الإلهة جوتار وتكفر بربه، ويتغوط عليها ثم يضعها بفم الجثة. فنسير على خطى الطلاسم هذه، حتى نصل إلى الجثة نأكل منها، وننفذ له ما طلبه.

قاطعها جهاد: وماذا لو أراد أن يعود لرشده؟- يقصد أن يبتعد عن عالم الجان.

نظرت العجوز الشمطاء له بعينين تشعان نارًا: سنأكله مثلما نأكل هذه الجثة.

في هذه اللحظة، أنهى ابن عبد البار حديثه معها، ثم أخذ يكمل، ويتمتم بما يقول وهي تختنق حتى احترقت تمامًا، وأصبحت دخانًا.

انتهت العجوز الشمطاء هنا، وانتهت معها أفعالها السابقة.

أكمل الجميع المسير نحو الجهة الغربية غير أنهم لا يعرفون عواقبها. وصل الجميع عند مكان أشبه بالوادي المنحدر قليلًا كانت الشمس على وشك الشروق.

الجميع متعب. نظر ابن عبد البار إليهم: سننام قليلًا فقط ساعتين أو ثلاثًا لا أكثر. وافق الجميع. إلا أن جهادًا برغم التعب أصبح في أرق ولم تغمض عيناه. أخذ جهاد يتفقد المكان المقابل للوادي، وجلس بمكان يشبه التل متفقدًا هذه المملكة التي ربما لم يسمع عنها إلا في خياله. أراد جهاد أن يرجع إلا أنه وجد قطعة من قماش صغيرة. أخذها يتفقدها. تذكر هذه القطعة من ثياب لوجين.

كاد أن يجن: وهل كانت العجوز الشمطاء تأكلها؟

- لا، لا. لم تكن هي.

- لكن القطعة أنا أثق أنها ترجع إلى ثياب لوجين. أخذ ينظر ويترقب لعل هناك طريقا ما.

وحاول أن يحدث مصطفى وخالدًا وابن عبد البار ما حدث، إلا أنه وضعها بحقيبته الصغيرة. محدثًا نفسه: سيلقون عليك اللوم، كما فعلوا بك يوم أن أخذت جزءًا من المخطوطة بقصر سوجلار.

- سيتهمونك بالتقاعس والتلاعب. لا لن أفعل. كان جهاد يحدث نفسه. إلا أن مصطفى أفاق من النوم مبكرًا فزعًا. جرى إليه جهاد ساندًا له واضعًا يديه خلف ظهره.

- ما بك؟ ما بك، يا رفيقي؟ أجاب مصطفى: أنا بخير، بخير. لا تقلق. فقط كابوس. - أي كابوس، يا رفيقي؟

نظر إليه مصطفى: لا شيء. أنا بخير. وأنت لمَ لا تخلد للنوم؟ قال له: لا بل كنت نائما، لكن أفقت من قبل كابوسك هذا بدقائق. قالها جهاد مبتسمًا.

حاول ابن عبد البار أن يكمل المسير نحو الاتجاه المتفق عليه "الجهة الغربية".

إلا أن جهادًا أصر على أن يكمل الاتجاه في الطريق المقابل للوادي.

نظر الجميع لجهاد.

- وماذا بهذا الطريق؟ أجاب: لا شيء، لا شيء. فقط أشعر أنه الطريق الصحيح، أرى ذلك، ولكم ما ترون، هل توافقوني الرأي؟

وافقه الجميع؛ ربما إنه المنقذ لهم من الفترة السابقة. وأكملوا السير في اتجاه الطريق المقابل الذي أشار إليه جهاد. غير أن خالدًا نظر إلى جهاد قائلًا: لمَ هذا الاحمرار الذي بعينيك؟ لمْ تنم جيدًا؟ أجابه: نعم، كنت قلقًا نوعًا ما.

- أسرعوا. الجميع يترقب جهاد الذي على غير عادته يطالبهم بالتقدم.

وصل الجميع حيث الأرض التي لا يعرف أحد بها هناك.

إنها أرض لوجين. كان جهاد يقولها من داخله. هناك، تفاجأ ابن عبد البار بصوت خالد يصيح: وصلنا. نعم، لقد خرجنا من لعنة القصر.

إلا أن ابن عبد البار قاطعه: لا يا بني تريث.. لم نصل، حتى نصل إلى الكهف.

- إذًا، ومن هؤلاء؟ قالها مصطفى. أجاب ابن عبد البار: سنعرف. فقط تمهل قليلًا. دخل الجميع من باب منقوش عليه وجوه غير متطابقة. نظر مصطفى: لعلها تشبه ذاك الفن يقصد"الكاريكاتير".

- ماذا؟ أي فن؟ قالها خالد. أجاب مصطفى: لا شيء. قاطعهم رجل عملاق القامة شديد السواد؛ تظهر على وجهه البلاهة.

- تفضل سيدي. تفضل صاحب الوجه السماوي. تفضل صاحب التاج.

كلها ألقاب كانت تقال لابن عبد البار. نظر مصطفى فوجد آخر يقول له: ماذا تريد، يا صاحب الوجه السماوي. غير أن الأخير نظر إلى جهاد وخالد قائلًا: كيف وجوه السماء تصاحب هذين الوجهين اللذين يبدو عليهما الفقر الشديد للعلم.

لم يعرف أي منهم المقصود بهذه الألقاب. ومن هم؟ إلا أن خالدًا استوقف رجلًا كان يسير على حماره: في أي بلد نحن؟ أجابه الأخير: أنت بمملكة وجوه العلم، أيها الجاهل. نظر خالد إلى من معه متمتمًا: مملكة وجوه العلم؟

لقد نُعت خالد بالجاهل؛ كما نُعت جهاد.. وابن عبد البار ومصطفى بالوجه السماوي.

تفهم مصطفى ما يقصدونه، كما أيضًا تفهم ابن عبد البار، حيث نظر مصطفى إلى ابن عبد البار قائلًا: هنا أنت ملك هذه المملكة دون طلاسم، يا جدي. ضحك ابن عبد البار معجبًا بذكاء مصطفى الذي تفهم الموقف سريعًا. قاطعهم جهاد: ولمَ نحن جاهلان وأنتما من أهل العلم؟ ومن الذي أخبرهم أني بائع طائرات ورقية، يا جدي؟ لقد فعلتها، يا خالد؟ أجاب خالد: فعلت ماذا؟ أنا أيضًا نعتوني بالجاهل.

ضحك منهم مصطفى وابن عبد البار الذي أخذ يتقدم نحو هذا التجمهر خطوة تلو الأخرى. وكان مصطفى يتحسس قلبه وكأن شيئًا يحدث؛ ناظرًا إليه جهاد:

- لا عليك، يا رفيقي. لعلنا نقترب.

نظر إليه جهاد متعجبًا: نقترب من ماذا، يا صديقي؟ غير أن جهادًا قال له: تأخر عن ابن عبد البار وخالد خطوات لأعطيك شيئًا.

أخرج جهاد من حقيبته تلك القطعة من ثياب "لوجين" التي وجدها جهاد أثناء وجودهم بالوادي. أخذها مصطفى يشم رائحتها ويتحسسها ويضعها على وجهه.

- إنها لــ لوجين. إنها لها، يا صديقي.

قال: نعم. لقد وجدتها عندما كنتم نيامًا والأرق لم يدعني أنام. أمسك مصطفى به متسائلًا: لذا سلكت بنا هذا الطريق، يا صديقي؟ قال له جهاد: نعم. فلا أريد أن يذهب حبكم سُدى، يا صديقي. إني عاشق مثلك.

- عاشق مَن، يا جهاد؟

أجاب جهاد: الطائرات الورقية، يا صديقي. وهل هذا الوجه يعشق إلا أطفالًا. ضحك مصطفى وجهاد وتقدَّما نحو التجمهر. وجد الكثير يقفون مصطفِّين، والجميع وكأنهم ينتظرون الدواء فالجميع مرضى. من به كسر أو جُرح، أو شجَّ رأسه أو شيء آخر.

نظر الجميع يتفقد الموقف. قال ابن عبد البار: لنكمل. إلا أن مصطفى قال: نشاهد لم هذا الاصطفاف؟

تساءل عن السبب. أجابه البعض: نحن هنا لنعالج من صاحب الوجه السماوي، يا صاحب الوجه السماوي.

لربما تفهم ابن عبد البار مرة أخرى لماذا يصفونه بصاحب الوجه السماوي.

وقف مصطفى بهذا الطابور الذي يطول للناظر. غير أن الحارس أخرجه قائلًا: ليس هذا بمقام لك، سيدي. أنت صاحب وجه سماوي. إلا أن مصطفى أصر قائلًا: أنا هنا مع صديقي هذا. وأشار إلى جهاد الذي أجاب عنه كعادته القديمة:

- نعم، فأنا جاهل وهو من قام على تربيتي.

تركهم الحارس. أخذ الطابور يقترب من الخيمة حتى وصل جهاد ومن خلفه مصطفى قريبًا من الخيمة، إلا أن من بداخلها سمع صيحات البعض: أفسحوا الطريق لصاحب الوجه السماوي. أفسحوا الطريق. وأخذ الجميع يتحسس مصطفى كنوع من أنواع التبرك به. نظر "طبيب الخيمة" في ترقب: من؟ ثم قال: لمَ هذا الصياح؟ ماذا حل بكم؟ قال الحارس: صاحب وجه سماوي، سيدي، يحضر هنا. خرج الطبيب قليلًا حتى أول الغرفة: من؟ لم يصدق أيبي ما تراه عيناه. قام واحتضن مصطفى وجهاد باكيًا.

- كنت اشعر بأن هذا القلب لن يترك من أحب. يا ولدي، لم أر عشقًا مثلما رأيته في عينيك يوم أن جئت غرفتي بالقصر.

جلس ابن عبد البار ومصطفى وظل جهاد وخالد يترقبون الموقف. نظر أيبي إلى جهاد قائلًا: ما زال بائع الطائرات هنا، يا فتى . ضحك مصطفى والجميع قائلًا: لو لم يكن معنا بائع الطائرات ما كنا هنا.

نظر ابن عبد البار إلى مصطفى: كيف؟ قاطعهم جهاد: لا شيء. يقصد يوم أنقذتكم من القربان، يا جدي. تبسم ابن عبد البار، إلا أن مصطفى بلهفة العاشق سائلًا: أين لوجين؟ كاد أن يجيبه الطبيب إلا أنه تساءل في سرعةٍ ثانيةً: أين لوجين؟ ابتسم الطبيب قائلًا: دع قلبك يأخذ قسطًا من الراحة. قال: لا راحة لقلبي إلا برؤيتها. أين لوجين؟ أشار إليه ابن عبد البار في خيمة مقابلة قال له: هناك تعد لي الدواء وبعض التجارب لنعالج بها من في هذه المدينة. قام مصطفى مسرعًا نحو خيمتها. كانت لوجين تحضر الدواء وبيدها كأس زجاجية بها مادة جيلاتينية وأمامها إناء آخر تفرغ به هذه المادة. حاول مصطفى أن يتمالك نفسه التي ترتجف، وكأنه يقف فوق قمم جبال الهيمالايا من شدة الارتجاف.

فألم قلبه يتزايد بهذه الرجفة، إلا أنه كعادته يستمتع بهذا الألم الذي يصاحبه وجود حبيبته. حاول مصطفى لفت الانتباه بإصدار صوت "نحنحة" إلا أنها أجابت غير ملتفتة قائلة: نعم، ماذا تريد؟ لقد قلتُ سابقًا إنني ما زلت أعد الدواء، ولم أنتهِ. أجاب مصطفى:

- وهل يشفي القلب العليل دواء غير دوائك؟

لقد وقعت الجملة على مسمع لوجين كبرق جعلها تشخص العينين حيث أوقعت الكأس وسكبت المادة الجيلاتينية ملتفتة بدموع على الخدين كمجرى مائي يصل نهر بمصبه ذاهبة إليه معانقة له قائلة:

- لا يشفي قلبي العليل سواك أنت، يا من ملكته بجنونك. كنت أنتظرك. لا شيء يستطيع أن يأخذك مني. صدقًا، حبيبي كنت أنتظرك.

حاول مصطفى أن يبعدها قليلًا حتى يتمكن من مسح دموعها إلا أنها أبت قائلة: دع أضلعي تعانق القلب الذي طالما وجد وجدت لوجين. أحبك أكثر. أحبك أكثر. أحبك أكثر مما كان وما سيكون. ربما هذه اللحظات أعطت لمصطفى قوة إيجابية ووجهًا نضرًا وقلبًا فرحًا. فلقاء المحب بمن أحبَّ عيدٌ.

ماذا لو القدر لم يجمعنا مرة أخرى، يالوجين؟ ماذا لو سلكنا طريقًا آخر أو أن جهادًا لم يساعدنا عندما وجد قطعة من ثيابك تدل على وجودك بمكان قريب منّا؟

- وهل تشعر بأنك لا تحبني؟ أجابها مصطفى: ولمَ تقولين هذا؟

أجابت لوجين: عندما تشعر بأنك لا تحبني فقط سيبعدنا القدر. فالقدر شغف المحبين لمن أحبوا. القدر هو عدم الكف عن من أحببت. فعندها يكون القدر لك. هل تفهمت، يا قدري، عندها يكون لك؟ ابتسم مصطفى من كلمات حبيبته التي هدأت من شوقه وشغفه إليها. نظرت لوجين إليه قائلة: دعنا نتفقد الرفقاء.

خرج مصطفى من خيمة استحضار الدواء مصطحبًا لوجين لأصدقائه. فرح الجميع بلقائها مرة أخرى. ابن عبد البار واضعًا يده على رأسها شاكرًا ربه لحفظها. خالد: مرحبا بكِ مرة أخرى، أختي.

جهاد: مرحبًا مساعدة الطبيب أيبي. متى تكونين طبيبة وتتخلصين من وظيفة المساعدة؟ ضحكت لوجين: عندما تتخلص أنت من طائراتك الورقية. رد جهاد: إذًا ستعملين مساعدة باقي عمرك. ضحك الجميع، فقد جُمعت الأسرة ثانيةً في تواد وحب. ولكن لن يطول الجمع، حيث الرفقاء من بني الإنسان، وأيبي ليس منهم كما أن لوجين اختطفت طفلة صغيرة لا تعرف شيئًا، وتربت على أن تكون واحدة منهم ولا تعرف غيرهم، والعودة بصحبة الرفقاء ربما تكون لها عواقب وخيمة، أو أنها لن تستطيع العيش بمجتمع آخر. فعادتنا مختلفة عن مملكتهم تمامًا. ربما هذا يتوقف على القدر مثلما قالت لوجين سابقًا.

واصل الجميع الحديث. اتفق ابن عبد البار على الجلوس أسبوعًا أو أسبوعين معهم، ومن ثم العودة من حيث أتوا. رحب أيبي بالفكرة قائلًا: ولمَ العجلة؟ دعونا نكمل مسيرتنا هنا. أجاب ابن عبد البار: عالمنا يحتاج إلينا كما نحتاج إليه. وربما لنا عودة مرة أخرى، أيها الطبيب صاحب الوجه السماوي. ابتسم أيبي: وأنت أيضًا، سيدي صاحب الوجه السماوي. فعلمك غزير انتفعنا به جميعًا على مدار سنوات وسنوات. فقد أنقذت مملكتنا كثيرًا. حتى جاء لك هذا الفتى ليكتمل الجمع. قاطعهما جهاد: وماذا نعمل هنا، أيها الطبيب؟ نحن كما ترى الجميع ينعتنا بصاحبا الأفق الضيق.. لا معلومات.. لا معرفة.. لا شيء إلا ما اكتسبناه سابقًا. أجابه أيبي ناظرًا إلى الجميع: عليكم أن تكونا في مجلسنا وتطلعا أكثر على حضارتنا حتى يصبح وجه كل منكما سماويًّا أو تكونان من العلماء المقربين. فهذه المملكة تختلف تمامًا عن كوشيه. إنها حضارة أهل العلم. نظر

إليه مصطفى متسائلًا: وماذا كانت الحضارات الأخرى التي مررنا بها؟ أجاب: إنها تابعة لحضارتنا، يا بني، لكن هي ممالك خاضعة لها، حيث فرضت عليها حضارتنا سيادتها وسيطرتها. بينما هنا أنت داخل حضارة أهل العلم أصحاب العقول؛ أصحاب العلوم. هنا مركز التاريخ، يا بني. هنا شعاع الحضارات ينبعث من هنا. هنا شروق شمس العلم لتنشر نورها على باقي العالم.

أنت في حضرة عظماء العالم، يا فتى. هيا بنا، يا بني، حتى نعرف أكثر عن هذا العالم. لا تخف هنا فقط التقدير والإحترام لصاحب المعرفة لا ملوك لا جاه لا سلطان إلا للمعرفة. فقط بثقافتك ستكون هنا ملكًا أو بافتقارك للمعرفة ستكون عبدًا. عبق التاريخ هنا.. فقط، يا بني، المعرفة التي تنفع بها المجتمع. أراد أن يوضح لهم أيبي أكثر.

- أي نصنع شيئًا يكون ذا قيمة للبشر، وأن لا نكتم علمًا من الممكن أن ننقذ به آخرين، اذًا.

تفهم الجميع ما يعنيه أيبي جيدًا. حيث عمل كل منهم منذ اللحظات الأولى على التوسع في المعرفة وإفادة الجميع. ذهب مصطفى ولوجين نحو المختبر لصنع الدواء، بينما ابن عبد البار ومعه خالد وجهاد نحو علم الفلك، حيث ابن عبد البار كان لديه خبرة كبيرة به. كانت خبرة ابن عبد البار بعلم الفلك كافية بترجمة الكثير من الظواهر الكونية. تابع خالد وجهاد العمل مع ابن عبد البار الذي اصطحبهم لمكان مرتفع بمنتصف المدينة، حيث كان يتابع ابن عبد البار حركة نجم "الشعرى" الذي ظهر مرة أخرى بعد اختفاء سبعين يومًا لمدة 40 دقيقة. نعم إنه بداية شهر جديد. عاد ابن عبد البار ومعه مصطفى وجهاد من ترقبهم لنجم "الشعرى" حيث أخذ ابن عبد البار قلمًا من البوص ومدادًا أسود ورسم قردًا واقفًا ويده متجهة للسماء، واضعًا إكليلًا على رأسه. قاطعه جهاد: ماذا

تفعل بقلمك هذا؟ هل هي طلاسم جديدة أم ماذا؟ أجابه ابن عبد البار: هذه بداية شهر جديد، أيها الأبله. نظر خالد متسائلًا: وكيف عرفت ذلك؟

أجابه ابن عبد البار: يا بني، إن الساعة الشمسية تقيس أربع ساعات قبل منتصف النهار وأربع ساعات بعد منتصف النهار، ثم نضيف ساعتين قبل شروق الشمس وساعتين عند الليل، ومن ثم يكون مجموع الساعات 12 ساعة. تساءل جهاد حيث يظهر على سؤاله الذكاء(هذا خلافًا عن ملامح البلاهة التي يحملها): وأين الساعة التي تمر بعد المغرب والتي تمر بعد الفجر؟ حقًا خالد تساءل سؤال جهاد نفسه: نعم، سيدي، أين هي؟ أجاب ابن عبد البار: هذا لأن مدة طول الظل هنا كبيرة. وقف جهاد شاخصًا البصر فاتحًا لفمه قائلًا بإشارة من رأسه: أنا لا أفهم. عليك أن تعيد شرح ما فهمته من ابن عبد البار، يا خالد. حيث كان جهاد خائفًا أن يقول لابن عبد البار لم أفهم مباشرة، فيغضب. ضحك ابن عبد البار قائلًا: سأعيد لك أنا، ولكن بعد الجلوس داخل الخيمة، حتى يتسنى لنا التوضيح أكثر. حسنًا فنلذهب. جلس ابن عبد البار وعن يساره خالد ويمينه جهاد.

- انظر، يا بني، تختلف الساعات باختلاف فصول السنة.

الشهر الأول النهار 16 ساعة والليل 8 ساعات

الشهر الثاني النهار 14 ساعة والليل 10 ساعات

الشهر الثالث النهار 12 ساعة والليل 12 ساعة

الشهر الرابع النهار 10 ساعات والليل 14 ساعة

هكذا يكون التقسيم على حسب فصول السنة، وهكذا يكون الفصل الأول من السنة الزراعية، حيث كانت ثلاثة فصول لكل فصل أربعة أشهر.

- ربما تفهمتُ قليلًا. حسنًا، وما فائدة كل هذا؟ قالها جهاد ناظرًا لصديقه خالد كعادته خائفا من رد فعل ابن عبد البار.

- لا، ليس له فائدة. عليك أن تذهب إلى الطبيب أيبي، فأنا لا أحسن التصرف مع أمثالك. قالها ابن عبد البار بعد نفاد صبره لجهاد. بينما نظر جهاد إليه نظرته المعتادة رافعًا عينيه: أنتم لا تقدرون العلم. سأذهب للطبيب أيبي. حسنًا، فهو من يقدر هذا. ضحك خالد قائلًا لابن عبد البار: دعنا منه، وأكمل لقد تشوقت إلى معرفة الكثير عن كيفية حساب الأيام والشهور بهذه المدينة. ذهب جهاد حيث خيمة ابن عبد البار وبها مصطفى ومعه لوجين. كان ابن الطبيب"أيبي" جالسًا حيث أصبح مرهقًا لكثرة العمل بينما مصطفى ولوجين يقفان ليعدان الدواء. دخل جهاد الذي بطبيعته أصدر صوت "نحنحة": أنا هنا، يا صديقي. ماذا أتى بك؟ أجابه جهاد: حتى أساعدكم. نظر الطبيب أيبي إليه متسائلًا: وهلا أعطيت مساعدتك للأصدقاء وابن عبد البار؟ أجاب جهاد: لقد انتهينا وأتيت هنا حتى ننتهي أيضًا. نظر إليه مصطفى مبتسمًا: نعم، يا صديقي، أنا أعرف كيف انتهيت. فلا أريد منك أن تكررها.

- حسنًا.. حسنًا. قالها جهاد ناظرًا إلى الطبيب أيبي الذي أعطى له مسحوقًا حتى يخلطه بآخر وطلب منه أن يقلبه جيدًا.

- هذه وظيفتك، يا فتى. إن فشلت فسنلقي بك خارج المدينة تأكلك العجوز الشمطاء.

- حسنًا، يا طبيب لكن العجوز الشمطاء قد ماتت. هل جاء أحد غيرها؟

- وهل يعنيك؟ قالها الطبيب في غضب.

- لا، سيدي. ولكن من يأكلني وهي ميتة؟

ضحك الجميع، وأكمل جهاد تقليب بالمسحوق، ثم اصطحبه الطبيب خارجًا حتى يحمل معه بعض العشب لحاجتهم إليه في تحضير الدواء. وجلس مصطفى مع لوجين يكملان عملهما، حيث نظر إليها قائلًا: وماذا بعد لو غربت شمسنا،

يا لوجين؟ الأيام تمضي وستمر الأيام وسيأتي ابن عبد البار لنعود. وماذا عنكِ؟ أجابت لوجين: سنمضي حيث تمضي. لم يصدق مصطفى ما سمعه منها. وهل بالفعل تقصد أن تعود معه. أمسك بيدها فرحًا: ماذا؟ ماذا تقولين، حبيبتي؟ قالت له سنمضي حيث تمضي. أنا حيث تكون، وأنت حيث أكون. لا شيء آخر، حبيبي. ألقى مصطفى بالدواء الذي في يده معانقًا لوجين فرحًا بقرارها هذا، حيث قاطعهم جهاد الذي كان يحمل العشب مع الطبيب واقفًا على بداية الخيمة ممسكًا ببعض العشب قائلًا: كنت أعرف أن الطبيب يخلي لكم الطريق. عليك اللعنة، يا أيبي. بالطبع، كان الطبيب أيبي خلفه.

- ماذا تقول، يا أبله؟ نظر جهاد إليه: لا، سيدي، لم أقل شيئًا. فقط كنت أشكر القدر الذي جاء بي لخيمتك. فأنت حقًا كأبي.

ابتسمت لوجين بسمة خجل هامسة لمصطفى: صديقك هذا أصبح جزءًا من عالمنا بعفويته هذه. نظر مصطفى إليها قائلًا: وأصبح مصدر مشاكلنا، حبيبتي. دعينا نجد له حلًا أو كان علينا أن نتركه قربانًا للإلهة. قاطعهم الطبيب أيبي: فليكمل كل منكم عمله..

أكمل الجميع عمله. وفي اليوم التالي، خرج الطبيب مصاحبًا مصطفى ولوجين ومن خلفهم جهادًا الذي كان يمشي منفردًا واضعًا يديه خلف ظهره، وكأنه مراقب مالي للمدينة.

في طريقهم لابن عبد البار وخالد: مرحبًا بك، أيها الطبيب العظيم صاحب الوجه السماوي. قالها ابن عبد البار فاتحًا ذراعيه لاستقبال الطبيب أيبي. كما عانق مصطفى صديقه خالدًا. بينما وجد جهاد نفسه وحيدًا، فنظر حيث لوجين قائلًا: بالطبع لا أحد يهتم بكِ، يا لوجين. ضحكت لوجين قائلة: حقًا، لذا طردني ابن عبد البار والطبيب أيبي. إشارة منها لما فعلوه معه. تبسم جهاد واضعًا يده

أسفل حنجرته قائلًا: لقد كشف أمري. نظر إليه مصطفى: اجلس، يا صديقي. ونظر أيضًا حيث لوجين: فلتجلسي، يا لوجين فجلست لوجين بجانب مصطفى الأيسر وجهاد على الجانب الآخر. همست في أذنه قائلة: أنا هنا حيث قلبك بهذا الجانب الذي أعشقه أكثر منك. أجاب مصطفى واضعًا يديه على قلبه قائلًا: ليتك تشعر من المتحدث أنها لوجين. وضع جهاد يديه على رأس مصطفى قائلًا: أشعر بأنك مريض، يا صديقي. فضحكت لوجين.

جلس الجميع يتسامرون كما كانوا من قبل بالنهاية. تحدث ابن عبد البار بصوت يسمعه الجميع قائلًا: علينا أن نفعل ما أردنا في خلال هذا الأسبوع، لأننا سنعود في الأسبوع المقبل. نظر إليه الطبيب أيبي: حسنًا، يا صديقي. شرف لنا ما تعلمناه منك، وما سنتعلمه في الأسبوع المقبل. فرح الجميع بالعودة بلا استثناء. وقال مصطفى: إذًا كما قال ابن عبدالبار. هناك علامات استفهام وضعها الرفقاء على حالة مصطفى الذي لم يعارض هذه المرة. فلا يعلم أحد بالوعد الذي اقتطعه من لوجين بالعودة معه. نظر خالد إلى صديقه مصطفى مكررًا كلام ابن عبد البار: سنعود، يا صديقي. رد مصطفى: حسنًا، يا رفيقي. إذًا العودة.

العودة

حمل الجميع أمتعته، ولم يكن مصطفى أخبرهم بأن لوجين ستعود معه. دخل الطبيب على لوجين التي كانت تقوم بتحضير أمتعتها لتذهب مع مصطفى متسائلًا: ما هذه، يا لوجين؟ أخفضت لوجين وجهها لأسفل، ولم تجِب الطبيب.

- أكرر، يا لوجين ما هذه؟ نظرت إليه بنظرات متقطعة: سيدي، سأذهب.

- إلى أين؟

- سيدي، مع مصطفى. أعاد الطبيب أيبي تكرار سؤاله: مع مَن؟

أجابت مرة أخرى لوجين: مصطفى، سيدي وابن عبدالبار.

- وهل تعلمين أين يذهب هذا الفتى ومن معه؟

- نعم، إلى موطنهم، سيدي الطبيب.

جلس أيبي على أريكة كانت بجواره واضعًا يديه على ركبتيه ناظرًا إليها: نعم، موطنهم بالفعل. هم يذهبون إلى موطنهم. وأنتِ، يا لوجين؟ أنتِ؟ أين موطنك؟ هنا موطنك. ترعرعتِ هنا. نشأتِ هنا. قاطعته لوجين بدموعها التي تتساقط كسيل مُنجرفٍ: لم يكن موطني. لم تكن نشأتي. لم تكن حياتي. نعم أنا لا أعرف غيركم ولا أعرف غيرك. فأنت لم تكن مجرد طبيب وأنا أساعده. أنت كنت كل شيء. أنت أبي.. أمي... أنت عائلتي. ولكن أنا أشعر أنني لست من هذه الطينة.

أنا أشعر بأنني أمتلك شعورًا. والجميع هنا لا يمتلك شعورًا. أنا أشعر بأنني أمتلك هدفًا وأعيش لأجله. قاطعها الطبيب قائلًا:

- أي هدف، يالوجين؟ ذاك الفتى الذي ظهر لفترة من الزمن، وستمر الفترة وينتهي وجوده من حياتنا. أجابت لوجين صارخة، ولأول مرة تتحدث مع الطبيب بهذه اللهجة:

- لا، سيدي لن يمرَّ كمرور العابرين. الجميع مر من حولنا، سيدي، إلا هو مر من هنا. وأشارت بيدها إلى قلبها. نعم، مر من هنا. هل تعرف ماذا يعني ذلك؟ لم أكن كما تقول بأن حياتي كانت هادئة، وسيمر وستعود حياتي. لا بكاء على اللبن المسكوب، سيدي. أقولها مرارًا وتكرارًا قبل وجوده. أنا ملك لكم لأنني لم أكن أعرف سوى قانونكم. إلا أن بعد وجوده، أنا ملك له ولا أعرف إلا قانونه.

- انه قانون العشق، يا لوجين. قالها الطبيب أيبي وكاد أن يختنق بدموعه.

- لا تحسبي أنني أعترض طريقك، يا ابنتي. لكني أردت أن أضع الأمور نصب عينيكِ. وستذهبين لعالم آخر لا تعرفين فيه غير هذا الفتى.

أجابت لوجين: سيدي، أنني أشعر أن هذا العالم هو أنا وأنا منه. أرجوك، سيدي، اسمح لي أن أذهب. أنا لا أستطيع أن أذهب بغير موافقتك. فقط اسمح لي، سيدي. أدار الطبيب أيبي وجهه عن لوجين قائلًا:

- صاحبتك السلامة، ابنتي.

تصلبت لوجين مكانها:

- سيدي لا تكن مرغمًا، أرجوك. أجاب أيبي: لا عليكِ، ابنتي حينما تكون سعادتك كوني. التفت إليها مكررًا: حينما تكون سعادتك كوني. فلنفعل ما كنا نخشاه، لربما تمر الفرصة، ولم تتكرر. فنصبح على ما فعلنا نادمين. الحقي بهم، يا ابنتي. ربما تجمعنا الأقدار مرة أخرى. الحقي بهم. خرجت لوجين من

خيمتها، حيث كان الجميع يحمل أمتعته في وداعهم للطبيب أيبي ولمدينة العلم.....

نظرت حولها متفقدة هذه الوجوه التي ربما لن تراها مره أخرى. هذا صاحب الوجه السماوي، وذاك صاحب الوجه الشاحب، وآخر يترقب بعينين لامعتين، والبعض يقف احترامًا لابن عبد البار ومن معه شاكرين ما قدموه لهم من خدمات، وآخرون يبكون على رحيلهم.

- حقًا، يا لوجين، إنه موقف أشبه بطعنة في قلب المدينة وقلب الطبيب أيبي، الذي كاد أن يجن جنونه وهو ينظر لكم راحلين عن عالمه. نظر أيبي إليهم حيث ابتلت لحيته البيضاء بدموع الرحيل، متذكرًا صديق العلم ابن عبد البار كيف سيرحل نصف العلم من المدينة؟

- ستظلم السماء، يا صديقي، لرحيلك. أخذ يتجول بنظراته متفقدًا هذا الفتى مجنون العشق- مصطفى-، الذي سيأخذ منه لوجين التي نشأت في غرفته كابنته؛ بعد تفقد أيبي الطبيب، عانق الجميع مودعًا لهم، حيث احتضنه صديق العلم ابن عبدالبار قائلًا: ربما نعود، يا رفيقي، لا تحزن. بينما مصطفى قدم اعتذاره.

- لما تعتذر يا فتى؟ قالها الطبيب أيبي له متعجبًا. أجاب مصطفى: من أجل لوجين سيدي الطبيب. ليس أنا من وقفت بوجهك بل قلبي هذا إن شئت أطعنه. فأنت تعلم أنني أحترمك منذ قدومي للقصر. نظر إليه الطبيب قائلًا:

- لا عليك، ياولدي. فقط من أجلها حافظ عليها. نظر جهاد للطبيب أيبي حيث وضع أمتعته أرضا كاد أن يذرف دموعه قائلًا:

- إذًا، أيها الطبيب تستغني عن خدماتي.

ضحك أيبي قائلًا: أنا لا أريدها، ولكن أريد قلبك الطيب هذا، يا جهاد. احتضنه وهو يبكي قائلا: لن أنساك، سيدي. تابع خالد مربتًا على كتفه: حقًّا، لن

ننساك، أيها الطبيب. خرج من في المدينة يودع ابن عبد البار ومن معه في ليلة خيمت عليها غيوم السماء. اصطحبهم الطبيب إلى سور المدينة معطيًا ابن عبد البار بردية تحوي بعضًا من أسرار التحنيط كعلامة على صداقتهما. قبلها ابن عبد البار بكل سرور، حيث ذهب مودعًا، مدينة العلم، واتخذ طريقه نحو العودة.

- نحو الطريق الصحيح، أيها الرفقاء، فلننعطف يسارًا قليلًا. قالها ابن عبد البار بعد خروجهم من المدينة، إلا أنه بعد جملته هذه وضع يده على صدره. كان يشعر بضيق تنفس، لربما يمر بوعكة صحية، تساءل جهاد ناظرًا إلى خالد: ماذا بابن عبد البار؟ أشعر وكأنه مريض. ذهب إليه خالد: ما بك سيدي؟ أجابه ابن عبد البار: ربما شعرت بضيق تنفس بسبب كثرة الأتربة والدخان المنتشر بالجو، ولكن أنا بخير، يابني. لا تقلق. شعر الجميع بتحسن ابن عبد البار قليلًا. ابتسم مصطفى قائلا: ما زلت شابًّا، يا جدي. هيا نكمل الطريق.

اجتازوا نهرًا ضيقًا تقطعه بعض الصخور بجانبه تل قليل الارتفاع. إلا أن الأمطار الغزيرة استوقفتهم، ولم يستطيعوا المُضي، فلجأوا إلى كهف ضيق داخل الجبل للاحتماء به من الأمطار الغزيرة والبرد القارص. قال ابن عبد البار للجميع: حضِّروا الكهف هذا للمبيت، فالأمطار غزيرة، ولن نستطيع الخروج. أشعلت لوجين فتيلًا من نار، حيث كان معها زيت الإضاءة بأمتعتها. بينما مصطفى أخذ يسد الفجوات خشية من أن يخرج منها ثعبان أو شيء آخر. وخالد يساعد جهادًا بتجهيز مكانًا للنوم. نظر مصطفى متفقدًا الكهف جيدًا. وجد لوجين ترتعش ربما أصابتها نوبة صقيع. خلع رداءه من عليه، وذهب إليها واضعًا إياه على كتفها مبتسما.

- أشعر بصقيع يتخلل جسدي. نظرت إليه قائلة: ولم خلعت رداءك وأنت تشعر بصقيع؟ أجابها: أنا لم أخلعه. فقط وضعته على مكان الصقيع الذي شعرت

به. فالآن أنا بخير. ابتسمت لوجين قائلة: كلماتك هذه تجعلني أسير خلفك بدون أن أنظر. أجابها مصطفى واضعًا يديه على صدره قائلًا: وقلبي هذا يخفق لكِ لمجرد رؤيتك.

أكمل الجميع عمله حتى انتهى كل منهم، وجلسوا قليلًا قبل النوم. وضع جهاد فاصلًا من القماش بينهم وبين لوجين قائلًا كعادته مازحًا: كي لا يأتي العاشق، يا عبلة. بالطبع تقبلت كلماته مبتسمة لأنها تفهمته أخيرًا. بدأ المطر يسكن قليلًا والصوت يهدأ والبرق يزول. إلا أن الجميع أفاق على صرخة لوجين.

قفز مصطفى تبعه خالد والجميع ممسكًا بالستار الفاصل منتزعًا إياه: ما بكِ؟ ما بكِ، يا لوجين؟ صرخت مرة أخرى: إنه ثعبان كبير. لقد لدغها ثعبان. قتل مصطفى الثعبان وأخرجه جهاد من الكهف. نادى مصطفى على ابن عبد البار فحرارتها ترتفع، وهو لا يدري ماذا يفعل، وليس معهم دواء.

قال جهاد: نحن بحاجة إلى الطبيب أيبي. نحن بحاجة إليه. ستموت إن لم يأتِ. نظر مصطفى مفزعًا من كلمة ستموت.

- لا، يا رفيقي، لن تموت سيأتي الطبيب سيأتي أو أنا الذي يموت. ربط ابن عبد البار رجلها جيدًا حتى لا يتمكن السم من الانتشار بالجسد. نظر مصطفى إليه قائلًا: نحن نمتلك القوة ما زلنا نمتلكها. أخرج لنا الطلاسم وأحضر لنا برقان يأتينا بالطبيب قبل خمس دقائق من الآن، وإلا ماتت لوجين.. هل تسمعني، سيدي. لا وقت لدينا. سيدي سأموت أنا قبل لوجين، سيدي، أرجوك... أرجوك، سيدي.

فكر ابن عبد البار قليلًا في استعمال القوة، حيث إنه لا يريد استعمالها والتعامل مع هؤلاء مرة أخرى إلا أن بكاء مصطفى وفزع من حوله والجميع ألح عليه كثيرًا. أجابهم ابن عبد البار: حسنًا، حسنًا، سأفعل. أخذ ابن عبد البار جنبًا يستحضر الطلاسم لقدوم "برقان". أكمل ما كان يقرأه من طلاسم وعلى وجه

السرعه حضر برقان هو الآخر مفزعًا. قائلًا: كنت سأحترق. إنك تستعمل طلاسم أقوى من وجودي.

قال مصطفى: فلتذهب إلى الجحيم أنت ووجودك. نريد الطبيب هنا. الوقت يسرع ولوجين ترتفع درجة حرارتها. حسنًا.. حسنًا.. سأفعل... نظر ابن عبد البار إلى برقان قائلًا: أحضر لنا الطبيب أيبي بالدواء، يا برقان. اختفى برقان وظهر ومعه الطبيب أيبي الذي وقف داخل الكهف مفزعًا: أين أنا ومن أنت. إلا أنه سمع صوت ابن عبد البار لا تقلق، يا صديقي لوجين متعبة ونريد إسعافها. ولا نحسن التصرف في مثل هذه الأمور. أمسك الطبيب بيد لوجين قائلًا: لا تقلقي يالوجين ستكونين بخير. أسرع، سيدي الطبيب، لا وقت لدينا.

قالها مصطفى وهو يختنق: اهدأ، يا فتى، ستكون على ما يرام. أخرج الطبيب دواء من جيبه لتشربه لوجين، حيث أخذه منه مصطفى ووضعها بفمها. وأخذ الطبيب يضع سائلًا على رجلها، وربط الرجل من قبل مكان لدغة الثعبان، ومن بعده جيدًا، ثم فتح جرح خفيف ما يساوي واحد سم لاستخراج الدم الفاسد. كانت لوجين تتعرق كثيراً، مما أقلق مصطفى أكثر تبسُّم الطبيب قائلًا: التعرق يُعني أنها ستكون بخير، ولكن دعوها تنام قليلًا حتى تفيق. شكر مصطفى الطبيب قائلًا: مسرورٌ بلقائك مرة أخرى، سيدي. نظر الطبيب إليهم جميعًا: وأنا سُررت بلقائكم بالطبع. بدأ الجميع يرحب بالطبيب مرة أخرى، ولكن ظل مصطفى بجوار لوجين واضعًا قماشة بيضاء أعلى الجبين مجففًا عرقها وهو يقول لها:

- أنا أكون حيث وجودك، يا لوجين. لن أتركك، ولو كان الموت قدرك فلنذهب معًا.

أخبر ابن عبد البار جهادًا أن يأتي بمصطفى ليجلس معهم، ولكن جهاد أجابه ضاحكا: لن يترك عبلته، يا سيدي. أنا أعرفه أكثر منك، ولكن ربما.

ذهب إليه جهاد قائلًا:

- صديقي، ابن عبد البار يريدك هو والطبيب. أجابه مصطفى ولما. قال: لا لشيء فقط لتجلس معهم. رد مصطفى: حسنًا ولكن بعد أن تفيق لوجين، برغم ما مروا به من ليلة مفزعة إلا أن الجميع فرحوا بلقاء الطبيب، حيث تحدث ابن عبد البار إليه، وقال له: ربما تجمعنا الأقدار، يا صديقي. تبسم الطبيب: حقًّا، يا رفيقي. لا شيء فوق الأقدار. بالفعل، لا أحد يدري ما سيحدث بعد ساعة من الآن.

قاطعهم خالد قائلًا: نعم، سيدي. أشعر وكأننا داخل متاهة حقيقية. نخرج من مكان لآخر، ولكن داخل المتاهة. أجابه ابن عبد البار: يا ولدي، الجميع يعيش هكذا. ففي عالمنا أيضًا، نتعايش معًا؛ نتغاضى عن أشياء، نُجبر على فعل أشياء. أو القيام بعمل أُكرهنا عليه. نجبر أن نعامل البعض معاملة حسنة برغم معاملتهم السيئة لنا. ربما لأننا نحتاج العالم المادي أكثر من العالم الروحي.

قاطعهم جهاد: لا أفهم.

أجابه ابن عبد البار: أي بني، نحن لا نقدر المشاعر والعقل. نحن لا نقدر العلم. فقط نقدس المال وحامل المال. لذا نحن بعالم مخيف. رد جهاد: إذًا نحن هنا بالمكان الصحيح. قاطعه أبيي: يا ولدي، ليس كذلك، ولكن ينقص عالمك الاعتراف بالعلم مع بقاء عالمك كما هو. أي التوازن بين الجانب المادي والروحي والعقلي. ينقص عالمك أن يأخذ كل ذي حق حقه في كل شيء؛ أن يأخذ الطفل قدره من اللعب والمعرفة واحتواء الأم له؛ أن يأخذ الأب قدرًا من حنان الابن بإطاعته إياه. أن يأخذ الابن قدرًا من حنان الأب بإرشاده لطريق الرشاد. فقط، يا بني، نحتاج لثورة داخلنا. نحتاج إلى ثورة على أنفسنًا.. على فسادنا الداخلي. يا بني، نحن لا نحتاج مصلحين أكثر من أن نصلح أنفسنا. نحن، فقط، نحتاج من

يعطف علينا كعقلانيين. عندها فقط ستشعر بقيمتك. ستشعر أنك تمتلك حق التحدث بلا خوف. نحتاج لمن ينصت ويُفند وينقد ويبني؛ ليس من ينصت ويفند وينقد ويسجن. نحن لا نحتاج إلى سجون كوشيه. هل تفهمت، يا ولدي؟ أجابه جهاد: حقًا، سيدي تفهمت، وتعلمت الكثير منك. أشكرك على ما قدمته لنا.

- الشكر للموقف الذي يعلمك أنك مازلت بخير. مادمت تعتمد على نفسك. حقًا، يا صديقي. قالها ابن عبدالبار معجبًا بكلمات الطبيب أيبي.

أثناء جلستهم المثمرة هذه، سمع الطبيب صوت لوجين تتحدث. قام ليتفقدها ومعه الجميع، حيث وجدها بخير، وما زال مصطفى جالسًا عند رأسها.

فرحت لوجين بقدوم الطبيب أيبي مقدمة له الشكر والعرفان على ما قدمه لها سابقًا والآن. أجابها الطبيب: لا عليكِ، ابنتي، أنا في خدمتك دومًا. والشكر لهؤلاء الذين اهتموا بكِ أكثر من أنفسهم ولصديقي ابن عبدالبار الذي أحضرني بقوته الخفية، ولهذا العاشق الذي كاد أن يفارق الحياة من أجلك. قاطعهم جهاد: لن يموت عنتر يا عبلة. تبسم الجميع مرة أخرى. عادت إليهم ضحكاتهم السابقة بفضل وجود هذا الشاب جهاد، وأخذ ابن عبد البار يعد العدة ليكمل الطريق. إلا أنه أصر على أن يظل معهم الطبيب أيبي حتى قرب الكهف المعهود ليخرجوا منه. بالطبع، فرحت لوجين، وقالت له: وافق، أرجوك، سيدي الطبيب. والجميع طلب منه الموافقة. وافق أيبي بالطبع، فلن يستطيع أن يرفض طلب الجميع.

أكملوا ليلتهم في الكهف حتى انشق الصبح، وقد أقلعت السماء عن مطرها الغزير، وبدأت السماء تعود صافية مرة أخرى. ذهب الجميع حاملين أمتعتهم مرة أخرى؛ في المقدمة ابن عبد البار والطبيب"أيبي" يتبعهم جهاد وخالد. وفي الأخير، مصطفى ولوجين الذي كان يحمل أمتعته، وأيضًا أغراض لوجين، وقفوا عند مفترق طرق قال ابن عبد البار: سنسلك طريق الهضبة شرقًا، لكن رأى الطبيب

أن يسلكوا طريقًا آمنًا فاتخذوا الطريق الموازي للجبال والنهر حيث الجبل شرقهم والنهر غربهم، ربما أراد أيبي أن يكون لهم نجاة بالنهر، تحدث جهاد للطبيب أيبي: هل تأتي معنا، أيها الطبيب لمنزلي، حتى أعلمك كيف تصنع الطائرات الورقية؟

ابتسم أيبي قائلًا:

- وكيف تعلمني صنعها، يا فتى.

أجابه جهاد لن تستغرق سوى ساعة، وستكون بارعًا، سيدي. قاطعه خالد قائلًا: أيها الطبيب دعك من جنونه فهو يعمل بهذه الصنعة من أجل فتاة. غضب جهاد ناظرًا لصديقه خالد: لا تتحدث، يا خالد، لا أحد يعلم، سيكشف أمرنا. إلا أن مصطفى كان يتابع الحوار، والجميع يستمع إلى جهاد. فالطريق طويل والجميع يريد أن يلهو ولو بقصة قصيرة. ألح على خالد ان يتحدث. قال خالد: سأخبرهم، يا رفيقي، ولكن لن أتحدث عن تفاصيل. أجابه جهاد: وهل يضر الشاة سلخها، بعد الذبح. ضحك أيبي مستمعًا لخالد، الذي أخبرهم بأن جهاد كان عاشقًا لفتاة منذ الصغر.

- كانت هذه الفتاة تأخذ من مصروفها، وتذهب لبائع الحلوي الواقف بعربة صغيرة بالشارع نفسه الذي يسكن به جهاد. كان هذا البائع يصنع طائرات ورقية بجانب الحلوي يبيعها للأطفال. ولكن لن يأخذ الطائرة الورقية إلا الذي يشتري أكثر من ثلاث قطع. فكانت هذه الفتاة تطلب منه الطائرة الورقية، لكنه يرفض قائلًا لها: فقط ثلاث قطع من الحلوي هي لكِ، لكن المصروف لم يكن يكفي إلا قطعة واحدة. كان جهاد يتابعها، لكنه وجد حيلة، وهي الوقوف بجوار البائع عندما يصنع الطائرة الورقية ينظر إليه كيف يتم قص الأوراق ثم تجميعها بطريقة أخرى، وصنع جناحين وذيل وحبل رفيع تسحب منه الطائرة عند اندفاعها بالهواء.

نقل جهاد الخبرة بكل سهولة وتعلم كيفية صنع طائرة ورقية. ففي الأسبوع المقبل، صنع لها طائرة ورقية حتى يعطيها لهذه الفتاة كهدية وكنوع من المحبة، لكنه كان سيئ الحظ. لقد حصلت الفتاة على مصروف مضاعف لتشتري ثلاث قطع من الحلوي وتأخذ الطائرة كهدية. لكن جهاد لم ييأس وظل يراقبها حتى سرق منها الطائرة.

وعادت في اليوم التالي تشكو لصديقتها، وكان جهاد يراقبها. ويستمع لهما إلا أنه قاطعها قائلًا: أنا معي طائرة ليس بحاجة إليها، لكن الفتاة رفضت. إلا أنه ألح عليها قائلًا: أنا أصنع الطائرات الورقية. فرحت الفتاة قائلة إن كنت جادًّا فشاكرة لك أن تعلمني. ومن هنا، بدأت قصة عشق بين جهاد والفتاة.

قاطع ابن عبد البار حديث خالد قائلًا: عظيم، يا فتى، وهل حصلت على الفتاة. أجابه جهاد بضحكات ساخرة: بلي، سيدي، لقد حصل عليها صاحب المحل الذي كان صاحب العربة يقف أمامه. ضحك الجميع من ردة فعل جهاد الذي كان يمزح حتي بلحظات الحزن. نظرت لوجين لمصطفى قائلة: صديقك هذا يحمل الكثير من الحزن، لذا نراه كثير الضحك؛ فخلفت ضحكاته هذه أوجاعًا.

أجابها مصطفى: أعلم، حبيبتي، لكن نتركه حتي يهدأ قليلًا، فالعشق سم قاتل. إن تجرعته يقتلك، وإن تركته قتل غيرك. تعجب الجميع مما قصه عليهم خالد. فالجميع فطن أن جهاد لم يكن مازحًا إلا لكثرة همومه، لعله يريد أن يخفف أثقال حملها بقصته هذه.

وبعد المضي قدمًا، أصبح الجميع مرهقين من السير، فاقترح عليهم ابن عبد البار أن يأخذوا قسطًا من الراحه ولكن عند أول مكان آمن. ذهبوا في طريقهم حتى وصلوا إلى مكان ما كشبه جزيرة. هنا قرر الجميع الجلوس للراحة. وضعوا أمتعتهم وذهب كل منهم للماء لغسل وجهه من عناء الطريق. ذهب جهاد

جانبًا شعر به خالد، فذهب إليه واضعًا يده على كتفه: ما بك، يا صديقي. أعتذر لك لما حدث مني. حقًا لا أقصد. رد جهاد: لا عليك، يا رفيقي. فقط تذكرت أيامي بتلك البلدة البائسة التي حملتني ما لا أطيق. ذاك الذي نظر إليّ كفقير ذات يوم، فقط لأنه وجد آخر غنيًّا يتزوج ابنته. يا رفيقي، أنا لا ألتفت إلى مثل هذه المواقف كثيراً. أنا فقط لا أريد أن أتذكر. جاء مصطفى إلى صديقه جهاد قائلًا: ما بك، يا بائع الطائرات الورقية؟ هل ما زالت طائرتك لم تقلع بعد أم إن الأجواء تنذر ببرق ورعد؟

ابتسم جهاد قائلًا: الطائرة تحلق فوق رأس عبلتك، يا عنترة. فلتذهب إلى الجحيم. ربما استطاع مصطفى أن يخرج جهاد من كبته هذا بكلماته البسيطة.

نادى ابن عبد البار عليهم حتى يشتركوا في إعداد الطعام.

ذهب من البحيرة الصغيرة التي أمامهم وبصحبته خالد. كان جهاد قد أفرغ من تجهيز المكان، لكن لم يأتِ مصطفى وخالد بالطعام بعد. ذهب ليتفقدهم في الطريق. وجد جهاد أرنبًا بريًّا. أخذ يتعقبه لكنه أفلت منه. أمسك جهاد بحجر حتى يضربه إلا أنه أفلتَ من الحجر. وجد جهاد الأرنب بأعلى صخرة، نظر إليه قائلًا: لن تفلت مني هذه المرة. لكنه أفلت أيضًا.

- تبًّا لك، يا أرنوب. لن تفلت، ولو كنت داخل كوشيه. قاطعه صوت خالد من خلفه الذي كان يحمل بعض الأسماك: سيفلت، أيها الأبله. ولو كان في كوشيه، لن نفلت نحن.

تابعه مصطفى بضحكات لطيفة قائلًا: ستظل تركض خلفه حتى تموت جوعًا، يا رفيقي. إلا أن جهادًا أمسك بحجر وأطلقه من يده صوب الأرنب، حيث ارتطم به الحجر جعله كسكران. نظر جهاد حينها لصديقه مصطفى قائلًا:

- عليك أن تتعلم كيف تطلق الحجر، يا رفيقي. أجابه مصطفى بمزاح يشبه مزاحه: أصبحت أسدًا على الأرنب، عندما حضرنا، يا رفيقي.

ضحك جهاد قائلًا: وجودكما يعطيني دافعًا، لا تقلق سنأكل معًا لن أترككم جَوْعى. وكأن جهادًا انتصر لهم. أجابه خالد: لا عليك، يا صديقي. معنا أسماك تكفي الكثير. وصل الجميع إلى المكان. كان ابن عبد البار يترقب الطريق لعودتهم. نظر إليهم: لمَ كل هذا الوقت؟ أجابه خالد بأن جهادًا كان يصطاد أرنبًا. ضحك ابن عبد البار قائلًا: لدينا بحيرة بها أسماك، وأنت تبحث عن أرنب. حقًّا، إنك لا تسير في الطريق نفسه مهما يحدث. ضحك جهاد قائلًا: أنا لا آكل الأسماك، يا سيدي، لذا بحثت عن شيء آخر. قاطعه مصطفى مازحًا: عليك أن تختار من قائمة الطعام بالفندق، سيدي. هيا، يا صديقي. نحن لا نعرف أين نحن وأنت هنا تثرثر.. تأكل ماذا؟

أحضرت لوجين الأسماك، وأشعل جهاد النار لشواء الأرنب. فرغت لوجين من إعداد الأسماك، في حين ما زال جهاد يحاول شواء أرنبه المسكين. وضعت لوجين الطعام بمساعدة مصطفى. وكأنهما بعش الزوجية، وليسا بجزيرة مهجورة. فالفرح لا يعرف مكانًا أو زمانًا حينما يأتي يوجد. قال مصطفى لها: حقًّا، أنتِ طاهية جيدة. أجابته: وعلمت أنني طاهية جيدة، عندما أكلت نصف السمكة. سأخبرهم أنك من أكلتها. أجابها مصطفى: ولما لا تأكلين النصف الآخر لنشترك في هذه الجريمة معًا؟ ضحكت لوجين قائلة: ليس كل من يسرق سارقًا. فسارق القلب يأخذ حقه من المشاعر بطريقته. أجابها مصطفى كما سرقت قلبي. وهل كان قلبك مسروقًا أم سارقًا، دعنا نكمل الطعام فالجميع جوعى. وضعت لوجين الطعام تبعها مصطفى. جلس الجميع حول مائدة الطعام إلا جهاد ينظر إليهم قائلًا: انتظروني قليلًا. سأنتهي من الأرنب في أقل من ساعة أو ساعتين. فالنار هنا

باردة، سيدي. ضحك الجميع منه قائلين: عليك بالاعتناء بأرنبك حتى ننام قليلًا. وبعد مُضي ساعة، انتهي جهاد من أرنبه هذا الذي ربما يعاقبه بسبب المطاردة.

- فلنكمل الطريق، أيها الطبيب أيبي. قالها ابن عبد البار ناظرًا إلى الطبيب أيبي. طلب ابن عبد البار أن يجمع كل منهم أغراضه ليكملوا الطريق. حملوا أمتعتهم بعدما أخذوا قسطًا من الراحة. ذهب الجميع تاركين البحيره خلفهم، حيث أشار ابن عبد البار على الطبيب أن يذهبوا من فوق المرتفعات لتكون الرؤية واضحة لهم. وجدها الطبيب فكرة جيدة، فوافق عليها وتبعه الجميع.

استمر الجميع في السير قاطعين الهضاب والتلال مجتازين الأماكن المرتفعة. كالعادة ابن عبد البار والطبيب أيبي في المقدمة، وخالد وجهاد خلفهما، وفي الأخير مصطفى ولوجين.

الجميع يفكر في كيفية العودة، وهل سيعودون حقًّا، أم إن هناك شيئًا آخر. ما زال ابن عبد البار يمتلك القوة الكافية لمواجهة أي اعتداء عليهم، ومازال مصطفى يمتلك حبيبته ليقوى بها ويواجه العالم من أجلها، وأيضًا خالد وجهاد متمسكين بالصداقة لأبعد الحدود. الجميع يستجمع أهدافه، والبعض يفكر عندما يعود ماذا سيفعل؟

بالفعل، هذا هو جهاد قالها لصديقه خالد قاطعًا الصمت الذي حل بهم مرة أخرى: أعتقد، يا صديقي أننا هنا لدينا هدف. كنا نبحث عن مخطوطة ثم مواجهة مع الجان وسوجلار، ثم سجون كوشيه. ماذا سنفعل حينما نعود؟ أجابه خالد بالطبع كما كنا نفعل ستبيع أنت الطائرات الورقية، وسأبحث أنا عن عمل أو أعمل في حرف متعددة كما كنت.

- وماذا عن لوجين ومصطفى؟ صمت خالد. كرر جهاد: وماذا؟

أجابه: لا أعرف ربما تتأقلم لوجين على عالمنا. فهي على ما أشعر منه. فوجود

مصطفى معها يجعلها بحالة جيدة، أشعر أنها كالأكسجين بالنسبة إليه. وهو أيضًا كذلك. حقًا، أمره غريب مصطفى. وماذا عن صديقة الجامعة؟ قالها جهاد لخالد. أجابه خالد: كانت مجرد صداقة، فأنت تعرف صديقك حينما يحب، يظهر على وجهه، ويكون كالطير في الفضاء. ونحن لم نرَه بهذه الحالة إلا مع لوجين. قاطعه جهاد: وكيف عرفت أنه عندما يحب يفعل هذا؟ أجابه خالد: أقصد عندما يتقبل شيئًا ما، ليس بالضرورة فتاة، يا رفيقي.

- مممممم نعم، فهمت.

على الجانب الآخر كالعادة يحمل مصطفى أمتعته وأيضًا أمتعة لوجين، يتسامران. التفت جهاد إلى الخلف ناظرًا إليهما قائلًا لصديقه خالد:

- انظر تشعر بأنه يفتقدها وهي معه.

أجابه خالد: وما يدريك؟ أجابه: يا صديقي، العاشق يعرف العاشق. هل فهمت؟ ابتسم خالد قائلًا: نعم، يا صديقي الفيلسوف.

في المقدمة، يتحدث الطبيب أيبي مع ابن عبد البار في أمورهم وكيفية الخروج فهما القائدان. إلا أن ابن عبد البار أثناء التحديث مع الطبيب أيبي شعر بإرهاق شديد ودوار. توقف عن المسير، حيث استند إلى الطبيب أيبي. هرع إليه الجميع.

- ما بك، سيدي؟ سيدي، ما بك؟ قالها مصطفى ممسكًا به. نادى على جهاد بإحضار الماء. نظر ابن عبد البار إليه قائلًا: أنا بخير. فقط أكملوا السير. إلا أن مصطفى كان يشعر أنه ليس بخير، وأن وعكته هذه لن تمر مثلما مرت من قبل، وأيضًا شعر الطبيب أيبي بأنه ليس بخير فهو يعرف جيدًا ما مدى تغيير لون وجه ابن عبد البار، فجاءه. قال ابن عبد البار للطبيب أيبي: ادن مني، يا صديقي، وأنت يا مصطفى استمع جيدًا، والجميع أيضًا. ارتجف أيبي لكلمات ابن عبد البار فهي كلمات وداع، يا رفيقي. ولكن حاول أن يتمالك أنفاسه المتسارعة. إلا أن ابن

عبد البار قال لهم: سينتهي كل شيء في هذا المكان. احتضنه الطبيب أيبي باكيًا: لا ياصديقي، لن ينتهي شيء. سنكمل الطريق حتى تصلوا. سنكمل، هل تسمعني؟ سنكمل، يا رفيقي. لكن ابن عبد البار كان يشعر بدنو أجله لذا طلب منهم أخيراً أن ينصتوا قائلًا لصديقه الطبيب أيبي: بأمتعتي كل الطلاسم التي تحمل القوة. مصطفى يعرف الكثير منها إلا أنه لا يعرف إلا القليل. عليك أن تعلمه كيفية استخدامها. فأنتم بحاجه إليها الآن. وأنت، يا صديقي، لا تتركهم إلا عند الكهف المعهود ليمروا لعالمهم. فعندما يكون الجميع بأمان، الطلاسم لك ولمن معك. احتفظ بها جيدًا حتى تستطيع العيش هنا بسلام. أمسكت لوجين بيده قائلة: لن تكون وحدك سيدي، ستكمل معنا الطريق. نحن لا نستطيع أن نسير خطوة بدونك. قاطعها: يا ابنتي، أنا أعرف ما أقول. عليكِ أن تستمعي إلى الطبيب أيبي وتتعلمي الطلاسم جيدًا. ربما تكوني بحاجة إليها يومًا ما. نظر ابن عبد البار إلى مصطفى قائلًا: أنا أعلم قدر حبك لها، لكن أطلب منك أن توزن الأمور، يا بني؛ وتحاول الحفاظ عليها مهما يكن عالمها، فهي لا تعرف غيرك هنا أو هناك. ربما ولدت من أجلك، فكن من أجلها. ذرفت لوجين الدموع، وهي تستمع لكلمات ابن عبد البار. أحكم ابن عبد البار قبضة يديه على الطبيب أيبي وكأنه يعانقها قائلًا: كن على العهد، يا أيبي. أنا أثق بك. كن على العهد، ولك مطلق التصرف. أنت القائد حتى يصل الجميع بأمان. آخر كلمات قالها ابن عبد البار بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة.

لم يتمالك جهاد أعصابه، ولم يصدق الموقف. حاول احتضانه قائلًا: لا، سيدي، لن تتركنا. انهض معي. انهض، سيدي. ما زلت أحتاج إليك كأب وكصديق تحويني. انهض.

إن حالة الهلع التي أصابتهم ربما لن يفيقوا منها سوى بعد شهور. لا أحد

يصدق أن ابن عبد البار فارق الحياة. حتى أيبي الذي ذرف دموعه، وابتلت لحيته لم يصدق. قبله الطبيب أيبي من جبهته قائلًا: لقد مات نصف العلم. لقد مات نصف العلم بعالمنا. جلس الجميع حزنًا؛ لا أحد يعرف ماذا يفعل؟ قرر أيبي أن يدفن ابن عبد البار بالمكان نفسه هنا. لكن مصطفى قال: سنصطحبه معنا حتى نعود. أجابه أيبي: لن يحدث إلا بالتحنيط، وانت كما تعلمت سابقًا أن عملية التحنيط تستغرق سبعين يومًا. نظرت لوجين إلى مصطفى قائلة: فلنستمع لحديث الطبيب أيبي كما قال لنا ابن عبد البار. بكي مصطفى قائلًا: حسنًا. حسنًا. كما يريد الطبيب سنفعل. بالفعل، تم دفن ابن عبد البار كما قال أيبي. أقاموا عليه الطقوس والصلوات. نظر الطبيب أيبي إليهم قائلًا: سنستريح هنا قليلًا حتى الصباح. طلب من جهاد وخالد تفقد مكان مناسب. بالفعل، وجد جهاد مكانًا آمنًا بين الصخور يشبه التجويف الداخلي يحميهم من المطر والبرد. رحب الطبيب بالمكان الذي وقع اختيار جهاد وخالد عليه قائلًا: اختيار جيد، يا صديقي. نظر خالد إلى جهاد: صديقي؟ مَن صديقك، أيها الطبيب؟

لم يتمالك الطبيب دموعه وبكي بحرقه على صديقه، فقد اعتاد لسانه على التحدث معه. حاول الجميع أن يهدئ من روع الطبيب، حيث جلس مصطفى بجانبه الأيمن ولوجين بالجانب الأيسر وأمامه خالد وجهاد. الجميع يهدئ الطبيب ويهدئ نفسه أيضًا؛ فالحزن يخيم على الجميع. قام جهاد وخالد لإخراج شيء من أمتعتهم ليجعلوه كخيمة تحميهم من البرد.

لا أحد يستطيع النوم لن يغمض لهم جفن في هذه الليلة.

جلست لوجين وحيدة منفردة كما جلس الجميع أيضًا. ذهب جهاد إلى الطبيب قائلًا له: كيف أصبحت الصداقة بينك وبين ابن عبد البار إلى هذا الحد؟ كيف أصبحت الفترة القصيرة هذه كمائة عام؟ أجابه الطبيب:

- أي بني، وجودك فترة طويلة مع أحدهم لا يعني أنك أحببته بدرجة كافية. ربما تكون الفترة القصيرة بمثابة حياة كامله لن يتمكن منها غير الصادقين. فالصادقون يرحلون سريعًا، يا بني؛ إما لصدقهم أو لأن الإله يصطفيهم عن الباقين. اعلم، يا بني، أن القلوب تتلاقى كلها فتجتمع بعضها البعض. فعرف كل قلب ما اجتمع به جيدًا، ثم تتقابل هذه القلوب مرة أخرى، ولكن معها أصحابها، فإن نظر كل منكم للآخر، وجد قبولًا بذاك الشخص الذي يحمل القلب المتعارف عليه سابقًا. فعندما رأيت ابن عبد البار شعرت وكأنني أعرفه منذ سنوات وسنوات.

قاطعه جهاد: نعم، سيدي هذا يحدث معي بالضبط. أجابه الطبيب: فكن على يقين بأن قلبك سيبحث عن الذي التقى به في العالم الخلوي. كان الجميع يستمع إلى الطبيب. وجدت لوجين أن كلام الطبيب حقيقة كما أيضًا وجده مصطفى كذلك. فتذكرت لوجين يوم أن مر مصطفى بغرفة الطبيب ونظر إليها. تذكرت الموقف ولكن بتفاصيل أدق وأشمل بعد كلام الطبيب أيبي. تذكرت بأنها أيضًا كانت تبادله الشعور نفسه بالنظرات، وكأنها رأته في عالم آخر. حدثت لوجين نفسها قائلة:

حقًا، الطبيب حق. كيف لي أن أعشق هذا الفتى من نظرة واحدة، وكأنه طيف مر بالجميع إلا أنا، فتوقف بداخلي.

تابع حديثهم خالد: ربما قلوبنا التقت بقلبك، سيدي الطبيب. فنحن نكن لك كل الشكر والاحترام والتقدير. تبسم الطبيب بسمة حزن قائلًا: ربما، يا ولدي. ربما.

أصبح الجميع في أمر جديد بعد موت ابن عبد البار. جلسوا هكذا حتى الصباح. طلب الطبيب أن يكمل كل منهم طريقه. حملوا أمتعتهم. الطبيب في المقدمة، لكنه منفرد. يا لوجع القلب، يا رفيقي وإن رافقني ألف رجل لن يأتي

بمقامك أي منهم. كانت كلمات يتمتم بها الطبيب أيبي. ربما لم يصدق بعد أن ابن عبد البار قد رحل.

او أن الطبيب يحاول استدعاء طيف صديقه حتى لا يشعر بالوحدة.

- إنها كلمات كلها كلمات. كلها كلمات لن تأتيني بك، يا رفيقي. قالها الطبيب مرة أخرى محدثًا نفسه. سار الجميع في طريقهم خلف الطبيب فهم يثقون به جيدًا. وصل الطبيب إلى مكان ما وتوقف، التفت إليهم وهو يشير إلى مكان ما قائلًا: هنا سنجتاز هذا الجبل أمامكم، وسنكون في الكهف المعهود. لكن دعونا نأخذ قسطًا من الراحة. نظر كل منهم إلى الآخر؛ لا أحد يعرف شعور نفسه. هل هو فرحٌ بقرب العودة أم إن الحزن يسيطر عليهم بعد فقدان ابن عبد البار.

لوجين تنظر إلى مصطفى بعد سماع كلمة العودة. تفهم مصطفى نظرتها قائلًا: سيكون كل شيء على ما يرام، حبيبتي. استدعي الطبيب الجميع ليستمع إليه وخاصة مصطفى ليخرج الطلاسم، ويبدأ بطرحها عليه وكيفية استخدامها. أحضر مصطفى جميع الطلاسم. وضعها الطبيب أمامهم، وأخذ الطبيب يشرح كل شيء له وكيفية استخدامها وفك رموزها وكيفية استدعاء الجان، وكيفية الحفاظ على قوة الطلاسم حين وجود الجان. كان الجميع يستمع جيدًا في مقدمتهم لوجين. ربما عرف الجميع كيفية استخدام الطلاسم، ولكن ستبقى بيد الطبيب ومصطفى ولوجين لأنهم من يعرفون قدرها جيدا.

- حسنًا، سيدي، علينا أن نستخدمها داخل الكهف. قالها مصطفى موجهًا حديثه للطبيب أيبي. أجابه الطبيب لربما تحتاجها داخل الكهف، ولكن نادرًا فقط لا تعبث بشيء داخل الكهف حتى لا تستدعي قوة خفية لا تستطيع ردعها. تفهم الجميع ما يقصده الطبيب أيبي، حيث جلس الجميع يفكر. ربما آخر ليلة بهذا المكان وهذا العالم أيضًا. كانت تفكر لوجين: ربما سأنهي علاقتي بهذا العالم

للأبد أو أعيش فيه للأبد. كان يترقب مصطفى عينَي لوجين، وكأن شيئًا يحدثه خافتًا: هل ستكمل لوجين الطريق أم أن شيئًا يحدث من قبل سوجلار ويختطفها مرة أخري؟ أمسكت لوجين بقلادتها التي أهداها إياها ابن عبد البار متذكرة تلك اللحظات مبتسمة بعينين لامعتين. لاحظ مصطفى يدها على القلادة قائلًا: لقد أخذ ابن عبد البار قلبي ورحل. لكن لوجين قالت له: أنت تعلم بأن قلبي معك إلا أنه أخذ خاطري وما يجول به. أجابها مصطفى: ربما هو الآن بمأمن عما كان فيه.

طلب الطبيب منهم أن يستريحوا حتى يكملوا في اليوم التالي. استمعوا إلى الطبيب، وحاول الجميع أن يستريح. ذهبت لوجين بعيدًا عنهم قليلًا حيث عيناها لم تغمضا هذه الليلة. تلك العينان اللتان أخذتا هذا الفتى كأسير في بحرها. ولكن هذه المرة ساهرة ليس من أجل ابن عبد البار، بل من أجل العودة. تحدث معها مصطفى قائلًا: ما بكِ حبيبتي، أشعر بأرقك، قالت: لا شيء، حبيبي. قال لها ثانية لكني أشعر بقلبك وأنتِ تعلمين أن قلبك ملكي، وظني به صائب.

نظرت إليه: حقًا، حبيبي. أنا أعرف أنك تعرف ما بداخل هذا القلب. لذا أنا قلقة قليلًا. رد مصطفى: قلقة؟ من أي شيء قلقة؟ أجابت لوجين: من العودة. أنا معك في أمان، ولكن كيف ستعامل، وكيف يكون التعامل. قال لها: لا تقلقي، حبيبتي، سيكون كل شيء على ما يرام. مثلما كنت أنا هنا لا أعرف كيف يكون التعامل، وتعلمت منكِ. ستتعلمين أنتِ كيف يكون التعامل هناك. وقعت هذه الكلمات بقلب لوجين فطمأنتها قليلًا. فتبسمت قائلة: معك، سأكون بخير وإلا سأقتلك. ضحك مصطفى قائلًا: وهل سأموت إن قتلتِني أو تموتين أنت. قالت له: حقًا، إذًا سأسجنك. قال مصطفى: وهل سنعود لسجون كوشيه. أجابته: بل بقلبي.

ربما كانت الليلة الماضية تحمل طابع الهدوء عن سابقتها. فالجميع بدأ يفكر

بعقله أكثر. أو لأن الظروف كانت هي التي تحتم عليهم التفكير بعيدًا عن العاطفة قليلًا. حمل الجميع أمتعته في الصباح يكملون الطريق نحو الكهف. أصبح الوقت بطيئًا بالنسبة إلى الجميع منذ أن علموا بقرب الكهف. ما زال القائد والطبيب أيبي في المقدمة؛ كالعادة يسير وحيدًا مفتقدًا لصديقه ابن عبدالبار.

الجميع يترقب. كاد الصمت أن يستمر لولا وجود صرخة جهاد التي قاطعتهم والتف الجميع حوله حيث صديقه خالد قائلًا: ما بك؟ ماذا ترى؟ أمسك جهاد بصديقه خالد قائلا: هناك، يا خالد، هناك.

- نعم، خرجنا من هذا المكان، هناك، يا صديقي. اهدأ قليلًا، يا فتى. قالها الطبيب أيبي لجهاد متسائلًا: ماذا ترى، يا جهاد؟ أجابه: سيدي الطبيب، إنه النفق الذي يؤدي إلى الكهف من هذا الاتجاه بجانب الجبل. نظر الطبيب أيبي له وأعاد عليه السؤال: أي نفق، يا جهاد؟ ليس هناك نفق. أنا أعرف الطريق جيدًا. إلا أن خالد وافقه الرأي: نعم، إن الطريق من هنا، سيدي. أيضًا تذكر مصطفى حين قدومه لمملكة سوجلار ولأرض كوشيه أن رأي جهاد هو الصواب.

الجميع يتفق مع جهاد أو أن الجميع اتفق على أن الطريق المؤدي إلى الكهف هو ما قاله جهاد باستثناء الطبيب أيبي.

- الأمر به علامات استفهام كثيرة، يا رفاق؟ قالها الطبيب أيبي ناظرًا إليهم. قاطعته لوجين: أليس هذا الطريق، سيدي، المؤدي إلى قصر سوجلار؟ وافقها الطبيب الرأي: نعم. إلا أننا سننحرف شرقًا قليلًا حتى نصل إلى طريق الكهف المعهود. نحن قريبون جدًا منه. التبست الأمور، وانقسم الرفقاء. الطبيب أيبي ولوجين يريان أن هذا طريق مختصر لقصر سوجلار. بينما مصطفى ورفاقه يرون أن الطريق هو طريق العودة. الشكوك تتزايد. نظر مصطفى إلى الطبيب وإلى لوجين نظرة استفهام، إلا أن لوجين التي كانت تسكن قلبه وما زالت تفهمت

معنى النظرة قائلة: نظرة شك هذه، يا فتى؟ أجابها مصطفى: ليس بشك، حبيبتي، ولست بفتى بل أنا حبيبك. قالت له: حبيبي يثق بي كما أثق به.

لكن نظرة مصطفى كانت استفهام فهو يملك قلبًا لا يجرؤ على الشك بحبيبته مهما تكن الظروف. ربما فهمت لوجين نظرته بطريقة خاطئة. ستكون أول مرة يختصم بها مصطفى مع لوجين إن حدث.

وجد جهاد الأمور تتطور وتسوء والانقسام يسود بينهم. قال بصوت به نبرة الحزن: ربما أخطأت. ربما أخطأت. فالطبيب ولوجين يعرفان الطريق أكثر منا. نظر خالد ومصطفى إليه قائلين: ما بك، يا رفيقي. نحن نوافقك الرأي، وهذا ما تبين لنا. أجابهم جهاد: لا عليكم. الأمور على ما يرام. لوجين، هذا مصطفى الذي خاض الممالك من أجلك هل تتذكرين؟ في محاولة من جهاد إصلاح سوء التفاهم الذي حدث. أجابته لوجين قائلة: نختلف لكننا لا نتخاصم يا جهاد. نحن نعلم مدى أهمية كل منا للآخر. فلا يستطيع قلبي أن يتخاصم معه لدقيقة واحدة. هل فهمت؟ نظر مصطفى معتذرًا على نظرته السابقة قائلًا: وكأن العيون تتحدث، حبيبتي. لغة العيون هي أصدق لغة ممكن أن يتحدثها العاشقان. إلا أن نظرتي كانت بموضع شك، ولكن ليس بكِ أو بالطبيب، بل هي شك في الموقف ذاته كيف يحدث هذا. فقط كاستفهام حبيبتي. قاطعهم الطبيب: لا عليك، يا ولدي. فنحن نتفهم طبيعة الموقف. ولكن علينا الجلوس قليلًا حتى نضع حلًا لما حدث. فهذا يعني الكثير. هذا يعني أن لدينا رأيًا واحدًا صادقًا فقط لا اثنين. إما أنا ولوجين أو أنت والرفقاء. سيدي، نحن ليس لنا رأي أمامكما. قالها جهاد: ناظرًا إلى أسفل. أشار الطبيب بيده علامة على السكوت قائلا:

- لا يابني لك كامل الحرية في طرح أسئلتك وتصديق الإجابات أو نقدها.

لكن الأمر ليس كما تتحدث أنت. لسنا بصدد مَن الصادق. بل كلانا صادق. فهناك حيلة من سوجلار وأتباعه أحاول فهمها.

- سوجلار؟ وماذا يريد منا؟ لقد انتهينا منه. قالها مصطفى ناظرًا إلى الطبيب. أجابه الطبيب: يا بني، هو وأعوانه يعرفون أنكم سترحلون مما لا شك فيه. كما، أيضًا، يعرفون أنكم تمتلكون القوة الكافية. لكنهم علموا بأمر موت ابن عبد البار، وهذا يدل على أننا لا نمتلك القوة بالنسبة التي كان يمتلكها ابن عبد البار. قاطعه جهاد: وكيف علموا بموته. أجابه أيبي: ابن عبد البار أصبح مقبورًا، وهم يجوبون المقابر ليلًا، ويعرفون من الداخل إليها آخرًا. تابع جهاد سؤاله بسؤال آخر: وكيف تقل قوتنا؟ أجابه الطبيب: لا تقلق. نحن ما زلنا نتحكم في القدر الأكبر من القوى الموجودة هنا، إلا أن النسبة انخفضت بشكل لم يكن ملحوظًا إلا قليلًا. فنحن على قدر معرفتنا بالطلاسم إلا أننا لا نعرف علاقتها بعلم الفلك جيدًا، مثلما كان يفعل ابن عبدالبار.

ولكن نحن ما زلنا نمتلك القوة. تساءل مصطفى: وما حيلتهم التي يصنعونها لنا هذه المرة؟ قال الطبيب: أشك أن سوجلار يختطف البعض من عالمكم، حيث يأتي بهم عن طريق النفق الخلفي، بينما داخل النفق طريق مغاير آخر. فالطريق الأول يخرجهم من الكهف مباشرة إلى المدينة، والطريق الثاني يخرجهم من الكهف إلى قصر سوجلار. حتى إن أدركوا العودة يدخلون من الطريق المؤدي إلى قصر سوجلار. فبدلًا من أن يخرجوا أصبحوا رهن السجون بأنفسهم. يا لها من حيلة جهنمية حقًّا: قالها جهاد واضعًا يديه على رأسه ناظرًا ببصر شاخص إلى صديقه خالد. تابع جهاد قائلًا: حقًّا، لا يفل الحديد إلا الحديد، أيها القائد. وما العمل، سيدي الطبيب؟ نحن بحاجة إلى أن نضع حدًّا لما نحن فيه. أجاب الطبيب أيبي: علينا أن ندرس النفق جيدًا، وأن لا نختار طريقًا مغايرًا. احذروا وأنتم داخل

الكهف. عليكم أن تختاروا الطريق الصواب. غير ذلك فإننا بمصيدة سوجلار. تساءل مصطفى موجهًا كلماته إلى الطبيب: وهل تأتي معنا إلى داخل الكهف؟

أجابه الطبيب: لا، يا بني، بل لبداية الطريق كما عاهدت ابن عبدالبار.

- حسنًا، سيدي. هل سبق لك أن دخلت الكهف؟ أجابه الطبيب: يومًا ما نظرت إليه وأنا خارجه. ربما أتذكر الطريق السليم. عليكم أن تكونوا على قدر المسؤولية، يا رفاق. جلس الطبيب يشرح لهم أمر الكهف جيدًا، كما كان يتذكره. طلب الطبيب من مصطفى أن يكون القائد داخل الكهف. فهو يعرف مهارته وقدرته على تصريف الأمور. وطلب من جهاد أن يبلغ مصطفى بكل ما يلاحظه حيث إن جهاد قوي الملاحظة لدرجة الدقة. وطلب من خالد أن لا ينعطف يسارًا مهما تكن الأمور، وأن يتذكر هذا الأمر فقط لا شيء آخر حتى يستطيع الجميع الخروج بسلام. نظر مصطفى إلى الطبيب. لم يفهم الطبيب. نظر إليه مرة أخرى قائلًا: سيدي، ولوجين؟ ماذا عنها؟ أجاب الطبيب: عليها أن تقرر مصيرها.

- ماذا؟ لا أفهم، سيدي. عليها أن تفعل ماذا؟

نظر الطبيب إليها قائلًا: أن تختار بين البقاء أو العودة معكم. قالت له: سيدي، لقد انتهى الأمر، منذ أن كنا بمدينة العلم.

- لقد وعدتني بالعودة. قال لها: حقًا، ابنتي. ولكن اطرح عليكِ الأمر ثانية حتى تعطي مساحة لعقلك ليذكر قلبك. نظرت لوجين إلى مصطفى: سيدي الطبيب، عقلي وقلبي يمتلكهم هذا الفتى. دعني أذهب معه حتى أستردهما؟ تبسم الطبيب: إذًا، فالعودة، يا لوجين. أجابت لوجين بعينين لامعتين: فالعودة، أيها الطبيب.

اتفق الجميع على العودة. لعل هذه الأمر هو أمر تأكيدي من الطبيب حتى

لا يندم البعض. وصل الطبيب ومعه الرفقاء إلى النفق؛ مجتازين الممر الأول. كل منهم يسير برفق خشية من أن يمروا من طريق خطأ. الطبيب في المقدمة، يليه مصطفى ممسكًا بيد لوجين، ثم جهاد وخالد. كل منهم يعرف ماذا سيفعل جيدًا. هيا، يا رفقاء هيا. هي اللحظات الأخيرة. فلنفعلها، يا رفاق. فلنفعلها. الأنفاس تتسارع، والعرق يسكب من جبينهم؛ القلوب تنبض بصوت عالٍ. العيون شاخصة تترقب بكل اتجاه؛ الأفكار تتصارع. الطبيب يحكم الأمور جيدًا: فقط على بعد خطوات سنفعلها، يارفاق، سنفعلها... سنفعلها، يا رفاق. فقط الثقة. نتحلي بالثقة والصبر وسنفعلها. مر الطبيب من الطريق المنعطف شرقًا، والجميع خلفه. كانت أنفاس لوجين ترتفع تكاد تختنق. توقف مصطفى مناديًا على الطبيب: سيدي الطبيب، سيدي الطبيب. أسرع، سيدي. جاء الطبيب: ماذا، يا فتى. لوجين متعبة نوعًا ما. نظر الطبيب إلى مصطفى قائلًا: يا بني، لقد تساءلت مرة أخرى مؤكدًا على العودة إلا أنها تصر على خوض التجربة معك إلا أنها لن تستطيع أن تكمل.

- ماذا؟ أنا لا أفهم. الجميع يترقب ماذا حل بلوجين. إنها تصارع الموت. فباب الكهف قريب. لقد انتهى الأمر. ها هو الباب. هيا، يا لوجين، ادخلي عالمي. هيا، حبيبتي، لقد مررنا بالصعاب. لا شيء أمامنا سوى هذا الكهف اللعين. سنخرج منه سالمين. هيا، يا لوجيييييين. انهضي، حبيبتي. كلها كلمات يقولها مصطفى وهو يبكي، وكأن قلبه يطعن بسكين حاد. إلا أن الطبيب هدأ منه قائلًا: إن لوجين من عالمك، لكنها اختطفت لعالمنا طفلة صغيرة لا تعرف شيئًا. نشأت داخل عالمنا تشكلت بهيئتنا؛ تقلدت مناصبنا. فهي أصبحت منا. فالعودة تعني موتها، حيث إنها تحتاج إلى طلاسم لا نمتلكها حتي يتم تجريدها من هيئتها التي عاشت بها بيننا. يا بني، الطير لا يستطيع أن يصبح في قاع المحيط. كذلك لوجين. لن تعود إلا إذا أحيينا ابن عبد البار، فهو الذي كان يربط الطلاسم بعلم الفلك، ويستطيع

إعطاءها القوة الكافية على التعايش في عالمك. حاولت أن أقص عليكم الأمر سابقًا، لكن الجميع أبى، فخشيت أن يتهمني البعض بالتقاعس. يا بني، إن أنفاسها تتصارع مثلما تتصارع أنفاسي الآن. لكنني أمتلك القدرة على البقاء وقتًا أطول. إلا أنها ستموت لو عبرت هذا الباب.

الجميع أصبح في صدمة. يحاول مصطفى أن يكذب الطبيب، والطبيب يحاول أن يقنعه. لكنه يرفض التصديق بتاتًا. نظر جهاد إلى صديقه قائلًا:

- الطبيب يقول حقًّا، صديقي. وأنت أتيت إلى هذا العالم لا تعرف لوجين. فلتخرج وأنت لا تعرفها. التفت مصطفى إلى جهاد ناظرًا إليه بنظرات حادة كادت أن تخرج الشرر من عينيه قائلًا له بصوت يختلط بالبكاء: وأنت أتيت إلى الدنيا، وكانت دنياك داخل رحم أمك، فلتعد إلى دنياك السابقة. فالطفل في أحشاء أمه لا يعرف عن العالم شيئًا سوى هذه المساحة الضيقة جدًّا. فإن جاء إلى الدنيا وجد عالمًا آخر، فإن طلبت منه العودة إلى أحشاء أمه لرفض قائلًا: سأموت لو فعلت. هكذا أنا، يا رفيقي. سأموت إن تركتها. هل تفهم؟ سأموت، ربما سر التحنيط الذي كنت أبحث عنه لم يعد هدفًا لي الآن أكثر من الحصول على لوجين. انتهت كل أهدافي عندها، فلا عيش بدونها.

أجابه خالد: بالطبع، يا صديقي، هو لا يقصد التخلي عنها إلا أنها ستموت لو اصطحبتها معنا. صمت مصطفى قليلًا ناظرًا إلى صديقيه قائلًا:

- عودوا، فلن أعود. لن أترك لوجين وأخذ يضرب جهادًا على كتفه، ويدفع خالد من ظهره وهو يقول بصراخ وكأنه يعذب: عودووووا... عودووا.. عودوا، فلن أعود بدونها.

كاد الطبيب أن يجن جنونه. هذا الفتى انتحاري بحق الجحيم. يفضل الموت على العودة بدون حبيبته. هذا لا يصدق. لولا أنني أرى هذا ما كنت لأصدقه.

كان يتمتم الطبيب بكلمات تحمل التعجب. صاح جهاد إلى مصطفى: هيا، يا رفيقي. هيا لن نتركك. رفض مصطفى وأخذ لوجين عائدًا بها بضع خطوات إلى الخلف. فبدأت أنفاسها تتحسن قليلًا. لاحظ مصطفى هذا كلما ابتعد عن باب الكهف.

نظر إلى الطبيب متسائلًا، لكن الطبيب قطع نظراته قائلًا:

- هل أيقنت الآن بحديثي. جلس مصطفى ساندًا ظهره إلى جدار الكهف، وعلى ركبتيه لوجين التي أرهقها التعب؛ واضعًا يديه على شعرها ناظرًا إليها قائلً: وماذا يا لوجين؟ لم يتبق شيء إلا وفعلته من أجل العودة معي. وماذا، يا لوجين؟ نظرت إليه لوجين بعينين تحملان العشق قائلة: إنها الأقدار. إنها الأقدار، حبيبي. أجابها مصطفى: ربما هي الأقدار. لكنك ستكون قدري حتمًا.

- سأكون حيث تكونين، يا لوجين. هل تذكرت؟

قالت له: نعم، فأنا أتذكر كلماتك حتى أعيش على ذكراها، لكن كن أنت عندما تكون الأقدار. فأنا أنتظرك. ربما تجمعنا الأقدار مرة أخرى. وما زلت أمتلك قليلًا من القصائد التي كتبتها لي.

قالتها لوجين بابتسامة تحمل الوداع. قاطع الطبيب: عليك أن تتركها، يا بني. أنا أعلم مدى أوجاع قلبك وقلبها، لكنها حتمًا ستموت إن عادت.

- ربما لم يحن الوقت لعودة لوجين. انتهى الأمر بتسليم مصطفى للأمر الواقع. نظر مصطفى إلى الطبيب قائلًا: علينا أن ندع الطلاسم لــ لوجين حتى يكون قلبي مطمئنًّا أنها ستكون بخير. وافقه الطبيب الرأي. ربما انتهز الطبيب هذه الفرصة حتى لا يعود الفتى لجنون عشقه. أعطاها الطبيب كل شيء مما يجعلها ملكة مملكة كوشيه. نعم، لوجين ملكة مملكة كوشيه. عانقها مصطفى عناق الوداع قائلًا:

- سنعود، يا ملكة مملكة كوشيه، فجزء من عالمك يعني لي كل العالم.

ابتسمت لوجين، وستكون ملكًا لعرش البلاد.

إما أن أكون ملكة بعالمك وبحياتك أو أن تكون ملكًا بمملكتي.

وجه الطبيب كلمته الأخيرة لفتى الكهف.

- ربما لم يحن الوقت.

تمت